الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي

كلية الاداب و اللغات

قسم اللغة و الادب العربي

آليات الحجاج في رواية "عائد إلى حيفا" لغسّان كنفاني

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

ـ تخصّص علوم اللسان ـ

إعداد الطالبتين :

* فاطمه بحري
* هاجر عبيـد

اشراف الدكتور:

* لزهـر كرشـو

الأستاذ	الصفة	مؤسسة الانتساب
د.سليم سعداني	رئيس الجلسة	جامعة الشهيد حمه لخضر ـ الوادي
د. لزهر كرشو	مشرفا ومقررا	جامعة الشهيد حمه لخضر ـ الوادي
د.عباس عبد الرؤوف	عضوا مناقشا	جامعة الشهيد حمه لخضر ـ الوادي

السنة الجامعية : 1437-1438/2016-2017

شكـــــر و عرفـــــان

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من صنع إليكم معروفاً فكافئوه,

فإن لم تجدوا ما تكافئونه به فادعوا له حتى تروا أنكم كافأتموه..."

رواه أبو داوود

... إلى أستاذي الفاضل ومشرفي الدكتور" لزهر كرشو"

إلى كل أساتذتي بكلية الآداب واللغات

المقدمة

مقدمـــــة:

بسم الله الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، نحمده سبحانه على ما أسبغ من النعم و نصلي و نسلم على نبيه المخصوص بجوامع الكلم، و بعد:

إنّ اللغة هي وسيلة للتواصل بين الأشخاص و تبادل الأفكار و الآراء؛ بغرض توصيل أفكار أو إقناع الطرف الآخر بوجهة نظر معينة؛ بالاستدلال و البرهنة لتحقيق المقاصد و هذا ما يسمى بأسلوب "الحجاج" الذي يهتم بدراسة الفعالية الخطابية الرامية إلى الإقناع و الإفهام.

و قد عُرف فن الحجاج منذ الحضارة اليونانية، و أشهر من عرف به أفلاطون، و أرسطو من خلال كتابه (الخطابة). كما تناوله العرب في دراساتهم و مصنفاتهم.

و قد كانت هذه الأسباب أهم ما شدّنا لهذا الموضوع الشيّق، و محاولة الغوص في بحره و الوقوف على أهم خباياه، كما أنّ الأستاذ المشرف شجعنا على طرق هذا الباب، الذي آثرنا أن نوضحه من خلال رواية (عائد إلى حيفا)، هذه الرواية هي نموذج من كتابات الشهيد "غسان كنفاني"، فقد تميّز بأنه من رواد الأدب المقاوم، و التي تحكي معاناة الشعب الفلسطيني خلال الاحتلال اليهودي.

و قد اتخذ بحثنا إشكالية عامة يمكن صوغها في:

ما هي أهم الآليات الحجاجية التي اعتمدها غسان كنفاني في إبراز تجليات العودة في الفن الروائي، من خلال روايته (عائد إلى حيفا) ؟

و قد مرّت هذه الإشكالية الأساسية عبر محطات أوّلية ذات طابع نظري منها: ما هو الحجاج ؟ و كيف كانت نشأته ؟ و ما هي أنماطه و آلياته ؟ متبعين المنهج الوصفي التحليلي في مسار دراسته.

و قد قسّمنا بحثنا إلى فصلين مع مقدمة و خاتمة، حيث كان الفصل الأول معنونا بـ (الحجاج و آلياته)، و قد اشتمل على دراسة نظرية احتوت على:

- تمهيد
- مفهوم الحجاج لغة و اصطلاحا
- نشأته عند الغرب و العرب قديما و حديثا
- أنماطه
- آلياته

و تناولنا في الفصل الثاني و المعنون بآليات الحجاج اللغوية و البلاغية و الشبه منطقية في رواية (عائد إلى حيفا)

- التعريف بالراوي و الرواية
- تحليل الآليات الحجاجية في رواية (عائد إلى حيفا)

و كانت الخاتمة خلاصة ما توصلنا إليه من دراسة و تحليل، هذا و قد اعتمدنا على مجموعة من المصادر و المراجع أهمها:

لسان العرب لابن منظور، و كتاب الحجاج في القران الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية لعبد الله صولة، و كتاب اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي لطه عبد الرحمن، و كتاب استراتيجيات الخطاب –مقاربة تداولية– لعبد الهادي بن ظافر الشهري، بالإضافة إلى كتب أخرى.

و قد اعترضتنا بعض الصعوبات في بحثنا؛ تتصدرها قلة المصادر و المراجع المتخصصة، كما أنّ اختلاف وجهات النظر بين الباحثين في هذا الموضوع يعتبر من بين أهم العوائق التي واجهتنا.

و نحن لا ندّعي الإلمام بكل خفايا هذا الموضوع، و إنما نحن طلبة علم قد نخطئ و قد نصيب، و نحمد الله العليّ القدير على العون و السّداد، كما نشكر أستاذنا الفاضل الذي أحاطنا بالرعاية و التوجيه.

الفصل الأول

تمهيـــــــــــــد:

أصبح فن الحجاج في هذا الوقت مصدر اهتمام للباحثين في مختلف التخصصات و المجالات، و ذلك من خلال النظر إلى قدرة الحجاج على مقاربة مختلف الخطابات العلمية منها و الإنسانية و الثقافية. و مع وجود الديمقراطية كأداة للحكم و مع تطور وسائل الإعلام الداعمة لذلك، فقد أصبح الوقت الحالي يوصف بعصر الحجاج و الجدال و التأثير و الحوار. فكان لابد من وجود الجدال و الإقناع و الحجاج و ذلك بغرض المغالبة و إظهار ضعف الخصم في وضع الضعيف قليل الحيلة الذي تعوزه قوة الحجة، كون الحجاج هو سبيل العقل و طريق المنطق و الحوار الهادف، كما أنه وجه من وجوه التداولية الحديثة في تحليل الخطابات.

1- مفهوم الحجاج:

1.1 الدلالة اللغوية للحجاج:

تكاد تجمع أغلب القواميس العربية على أن الحجاج مرادف لكلمتي البرهان والدليل، أما مضمونها يتراوح بين المعاني الآتية: التخاصم، النزاع، الجدل، والغلبة، أي أن الحجاج يتم بين طرفين متخاصمين أو متنازعين وبالحجة يغلب أحدهما الآخر.

ويتجلى الدليل مرادفا للحجة: في قول الجرجاني: "الحجة ما دل به على صحة الدعوى وقيل الحجة والدليل واحد"[1].

كما يظهر مفهومها مرادفا للبرهان في قول ابن منظور: "ولحجة البرهان ،وقيل ما دُوفع به الخصم وقال الأزهري: الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة "[2]. ونجده أيضا عند الفيروزبادي في قوله "الحجة هي البرهان"[3].

وكشرط أساسي لتحقيق الحجاج يقتضي الأمر وجود طرفين بينهما جدال لهذا جعل ابن منظور الحجاج مرادفا للجدل بقوله:"هو رجل محجاج أي جدل"والتزم بالمعنى ذاته صاحب القاموس المحيط "الفيروزبادي"بقوله: "والمحجاج الجدل"[4].

ونجد الحجة بمعنى التخاصم والغلبة واضحة في قول ابن منظور: "التحاجج: التخاصم، وحجة بحجة حجّا: غلبه على حجّيته وفي الحديث فحج آدم موسى أي غلبه بالحجة"[5].

---

[1] معجم التعريفات،علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، تح:محمد الصديق المنشاوي،دار الفضيلة ،القاهرة ،دط، دت،ص73.

[2] لسان العرب،ابن منظور ، دار المعارف القاهرة،ج2، ص779، مادة(حجج).

[3] القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادي، تح:محمد نعيم العرقسوسي،مؤسسة الرسالة ،ط8 ، 1426هـ،2005م،ص 183.

[4] لسان العرب، ابن منظور، ص779.

[5] القاموس المحيط، الفيروزبادي ،ص183.

2.1 الدلالة الاصطلاحية للحجاج:

يتميز مبحث الحجاج بكثرة الحقول المعرفية التي تناولته كالفلسفة والمنطق واللسانيات ونظرية التواصل والقانون وحديثا امتد الأمر إلى علم النفس وعلم الاجتماع وتخصصات أخرى كثيرة، لذا فإن الوظيفة المفهومية والمنهجية للحجاج لا تتحدد إلاّ في سياقها الخاص .

إن مفهوم الحجاج مفهوم عائم ومتشعب يصعب حصره والإحاطة والتعريف به وهذا واضح في قول عبد الله صوله: « إذ أننا نجد بعضهم يرى أن الحجاج في الدراسات الحجاجية على ضربين أحدهما: أنت فيه لا تخرج عن مجال المنطق، وبذلك يكون مرادفا للبرهان والاستدلال وضرب هو واسع المجال لانعقاد الأمر فيه على دراسة مجمل التقنيات البيانية الباعثة على إذعان السامع أو القارئ»[1].

كما يجب التنبيه أن للحجاج مفهومين :خاصا وعاما أما المفهوم العام للحجاج فيطلق على أي خطاب تواصلي ،بحيث أن كل حجاج بحيث أن كل حجاج هو تواصل ،وكل تواصل يستعمل الحجاج من منطلق انه: «لا تواصل باللسان من غير حجاج، ولا حجاج من غير تواصل باللسان...»[2].

وجدت أنه «توسع معنى الحجة فصار يدل لا على الإثبات فحسب، بل تعداه إلى الدلالة على مجموع قول القائل، إن معترضا أو مجيبا، وعلى ما اضمر في هذا القول...»[3].

أما المفهوم الخاص فيطلق على الخطاب الذب يتوافر على الحجة أو الحجج بوصفها وسيلة إقناع ومغالبة وتأثير.

[1] الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ،عبد الله صولة ،دار الفارابي،بيروت ،ط2 ،2007م،ص8.
[2] اللسان والميزان (التكوثر العقلي) ،طه عبد الرحمن ،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء ،المملكة المغربية ،ط1، 1998م، ص254.
[3] نفسه،ص255.

وجاء في المعجم الفلسفي لجميل صليبا «الحجاج هو جملة من الحجج التي يؤتى بها للبرهان على رأي أو إبطاله أو هو طريقة تقديم الحجج والاستفادة منها»[1]. تقارب هذه الدلالة موسوعة لالاند إذ تعرف الحجاج بأنه «طريقة عرض الحجج وترتيبها »[2].

نجد بيرلمان وتيتكاه يعرفون الحجاج على أنه « طائفة من تقنيات الخطاب التي تقصد استمالة المتلقين إلى القضايا التي تعرض عليهم ،أو زيادة درجة تلك الاستمالة»[3].

نستنتج من هذه التعاريف أن الحجاج فعالية لغوية اجتماعية وعقلانية غايتها إقناع المعترض العاقل بمقبولية رأي من الآراء ،وذلك عبر تقديم جملة من القضايا المثبتة أو النافية لما ورد في هذا الرأي من قضايا.

2- نشـــأة الحجاج قديما:

1.2 الحجاج عند الغرب :

1.1.2عند السفسطائيين:« يعتبر السفسطائيون حركة فلسفية و ظاهرة اجتماعية برزت في القرن الخامس قبل الميلاد. و قد تميز روادها بالكفاءة اللغوية البلاغية و بالخبرة الجدلية، و يتجلى ذلك من خلال تسميتهم التي كانت تعني الحكيم الخبير بكل فن و أسلوب »[4].

لقد علم "بروتاغوراس" و أتباعه مهارة القول، و حثوا على استخدام الحجج المظللة التي ظاهرها الحق و باطنها الباطل. ستسمى هذه الحجج بالسفسطة، ابتكر السفسطائيون إذن البلاغة التي هي فن

[1] المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية،جميل صليبا ،الشركة العالمية للكتاب ،بيروت ،دط،1994م، ج1،ص 446.

[2] موسوعة لالاند الفلسفية ،اندريه لالاند ،منشورات عويدات ،بيروت ط2، 2001م،مج1، ص93.

[3] النص الحجاجي العربي (دراسة في وسائل الإقناع)، محمد العبد ،دت،دط،ص44.

[4] الحجاج في البلاغة المعاصرة: بحث في بلاغة النقد المعاصر، محمد سالم محمد الأمين طلبة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت-لبنان، ط1، 2008م، ص24.

الكلام الذي يتوخى الإقناع، فن الفصاحة و خاصة فصاحة الخطاب السياسي أو القانوني، المستخدم لكل الإمكانات بهدف النجاح الشخصي و الحصول على التصويت المؤيد من طرف المستمعين[1].

2.1.2– عند أفلاطون: أخذ أفلاطون من سقراط جوهر معارضته لسفسطائيين و للبلاغة، و من خلال المحاورات التي أقامها مع السفسطائيين؛ يرى أن مقصد الحجاج ينطلق من الخطابة التي تعتمد على دعامتين أساسيتين هما: العلم و الخير، على عكس الحجاج السفسطائي الذي يعتبره حجاجا مخادعا لا أساس له من الصحة. و لديه تفريق بين "الإفحام" و "الإقناع": فالأول هو صنيع الفيلسوف، المنشغل بالمنطق، الباحث عن الحقيقة و الوجود و المثال، بينما الإقناع هو صنيع الخطيب الذي يعالج الآراء، و الأشياء المرئية و المحتمل. و من يعمد إلى الإقناع في معناه الثاني يستخدم السفسطات و الأدلة العاطفية: أنه يؤثر على خيال المستمع و ليس على عقله[2].

3.1.2– عند أرسطو: يعتبر أرسطو العمدة في عملية الحجاج، فهو المرجع الأساسي لمن جاء بعده غربا أو عربا، حيث تناول الحجاج من زاويتين متقابلتين، من زاوية بلاغية و من زاوية جدلية، فمن الزاوية البلاغية يربطه بالجوانب المتعلقة بالإقناع، و من الزاوية الجدلية يعتبر الحجاج عملية تفكير تتم في بنية حوارية و تنطلق من مقدمات لتصل إلى نتائج ترتبط بها بالضرورة، فهاتان النظرتان المتقابلتان تتكاملان في التحديد الذي يقدمه أرسطو لمفهوم الخطاب إذ بيّنه انطلاق من أنواع الحضور و الرغبة في الإقناع،[3] و يحدده في ثلاثة أنواع: مشورية (استشارية)، مشاجرية (قضائية)، تثبيتية (احتفالية)،[4] و قد استلهم أرسطو هذا التصنيف من « التجمعات السياسية لوصف النوع الاستشاري، و المحاكم لتمييز النوع القضائي، أما المسابقات الخطابية المنعقدة خلال الألعاب الأولمبية هي التي اوحت بخصوصيات

[1] الآليات الحجاجية لتواصل، ليونيل بلينجر، تر:عبد الرفيق بوركي، مجلة علامات، ع21 ، ص 34.

[2] نفسه، ص35.

[3] ينظر: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية و المنطقية و اللسانية، محمد طروس، دار الثقافة ، المغرب، ط1، 2005، ص15.

[4] ينظر: الخطابة ، أرسطو طاليس ، الترجمة العربية القديمة،تح:عبد الرحمن بدوي،وكالة المطبوعات،الكويت،دار القلم بيروت،1979م، ص 17.

النوع الاحتفالي »[1]، و يحدد أرسطو الغاية من تلكم الأنواع : أما الخطبة المشورية فغايتها الإذن و المنع، و زمنها المستقبل، و أما الخطبة القضائية فغايتها العدل و الظلم، و زمنها الماضي، و أما الخطبة الاحتفالية فغايتها تثبيت المدح و الذم، و زمنها الحاضر[2]. و قد ميز بين ثلاث مستويات من الحجج: الايتوس، الباتوس، اللوغوس، في علاقتها بالأفعال الثلاثة للفعل الخطابي: الخطيب، المستمع، الخطاب.

الايتوس: يصف الخصائص المتعلقة بشخصية الخطيب و الصورة التي يقدمها عن نفسه.

الباتوس: و يشكل مجموعة من الانفعالات يرغب الخطيب في إثارتها لدى المستمعين.

اللوغوس: و يمثل الحجاج المنطقي الذي يمثل الجانب العقلاني في السلوك الخطابي فيرتبط بالقدرة الخطابية على الاستدلال و البناء الحجاجي[3].

والأهم من ذلك؛ الاختلاف الذي أقامه أرسطو بين الحجاج الجدلي و الحجاج الخطبي، إذ أن « الأول أوسع من الثاني فهو يمارس في فحص قضايا الفكر و فحص جوانب من الأحكام المتعلقة بالسلوك، كما يمارس في توجيه الفعل و إن كانت ممارسته ادخل في البحث الفكري، أما الثاني فمجاله هو توجيه الفعل و تثبت الاعتقاد أو صنعه ».[4]

كما فصل في قضية القائل و المقول إليه و فعل بناء القول الحجاجي، فقد فرق بين المناقشة الجدلية و الخطبة فوجد بينهما اختلاف في خصوص إسهام المقول إليه في فعل بناء القول الحجاجي. و من هذا المنطلق عدد مراحل إنتاج القول الحجاجي، و هي تبتدئ من البحث عن مواد الحجاج (البصر بالحجة) إلى ترتيب أجزاء القول مع توخي الأسلوب الملائم للعبارة وصولا إلى الوجه الذي تقع عليه

[1] في بلاغة الخطاب الإقناعي،مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية،الخطابة في القرن الأول أنموذجا، محمد العمري ، أفريقيا الشرق، بيروت،لبنان ط2 ، 2002م،ص 15،16.

[2] ينظر: الخطابة، أرسطو طاليس، ص17.

[3] ينظر: النظرية الحجاجية ، محمد طروس ، ص18.

[4] الخطابة ، أرسطو طاليس ، ص8.

التصديقات، التي بدورها قسمها إلى: تصديقات غير صناعية تنطلق من الحجج المتوفرة قبليا، و أخرى صناعية و هي العملية الأساسية في صناعة القول الحجاجي من استعارات و مفاهيم و جدل[1].

2.2- الحجاج عند العرب :

عُرف الحجاج عند العرب في موروث درسهم البلاغي بمصطلحات أخرى، منها الاحتجاج والجدل والجدال والمجادلة والمناظرة، وقد امتاز به العرب في خطاباتهم بوصفه ممارسة قبل التنظير له، ويمكن رصد الحجاج في الدراسات العربية القديمة في ثلاث مراحل: مرحلة ما قبل التنظير (الممارسة)، ومرحلة التنظير(مرحلة الجاحظ)، ومرحلة ما بعد التنظير (ضبط بعض سياقاته الإقناعية).

1.2.2 الحجاج ما قبل التنظير (الممارسة): التراث العربي رافلٌ بالخطابات الحجاجية المتّسمة بالطابع الإقناعي في طابعها المراسي التطبيقي، وذلك مذ العصر الجاهلي؛ وجلاء ذلك « المنجزات الخطابية والمنافرات القبلية في العصر الجاهلي، ثم تنامت هذه الخطابات التي تجسّد هذه الإستراتيجية بعد البعثة المحمدية في كثير من السياقات، وتبلورت في كثير من العلوم، مثل علوم الفقه وأصوله وعلم الكلام والعلوم اللغوية، كما كان الإقناع مطية أطراف الخطاب في المسامرات وعقد الندوات والنقاشات، فكانت إستراتيجية الإقناع بمختلف آلياتها، هي السبيل الأقوم لإبراز مكنونات هذه العلوم والدفاع عنها، ومحاولة إحلالها في موضعها الذي تستحقه »[2]،كما كان من مقتضيات الضرورة تفعيل الإستراتيجية الإقناعية في الخطابات الدينية المتصلة بفتح الأمصار في عهد الخلافة الراشدة وما بعدها، وهي الخطب التي تُقَدِّمُ الدينَ الإسلاميَّ وتنافح عنه بآليات إقناعية ناجعة لاستمالة المتلقين والتأثير فيهم، كما كان للصراع على السلطة بطابع مذهبي في العصر الأموي دورٌ آخر لتفعيل الإستراتيجية

[1] بلاغة الخطاب المكتوب "دراسة لتقنيات الحرف و اللون و الصورة في خطاب الدعاية التجارية، أمينة رقيق، رسالة دكتوراه، محمد خان، قسم الآداب و اللغة العربية،جامعة محمد خيضر بسكرة ،2014/2013، ص80،(379).نقلا عن: الحجاج عند أرسطو : أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، هشام الريفي ، نشر كلية الآداب منوبة، تونس، 1998، ص175-295 .

[2] إستراتيجيات الخطاب : مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري،دار الكتاب الجديد،ط1،بيروت،لبنان، ص 47.

الإقناعية الخطابات السياسية، التي تسعى لإثبات الشرعية للحكم، أو إثبات عدم إثبات تلك الشرعية خلال خطابات مناوئيهم.

2.2.2 مرحلة التنظير (مرحلة الجاحظ): خالف الجاحظ التراث اليوناني في اهتمامهم بالمتلقي، مما خوّل له تصدر القمة دون منازع في كتابه البيان و التبيين، فقد أولى كل الأهمية للخطيب، و ما يتعلق به من صفات و أخلاق و شروط و نلمس ذلك في قوله :« أوّل البلاغة اجتماع آلة البلاغة. وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجوارح، قليل اللّحظ، متخيّر اللفظ، لا يكلّم سيّد الأمة بكلام الأمة لا الملوك بكلام السّوقة...»[1].

و نستطيع هيكلة إستراتيجية الإقناع في الدرس الحجاجي حسبه في مكونين:

أ- **المكون اللغوي**: و هو المكون الذي ارتكز عليه الجاحظ في إقامة هذه الإستراتيجية، و يتجلى في تركيزه على صفات الخطيب المتعلقة بالفصاحة و السلامة المنطقية و البيانية.

ب- **المكون الاجتماعي**: و قد لخصه الجاحظ في كلمتي (الفهم _ الإفهام) و التي تقتضي التواصل و التعاون في إنجاح العملية التواصلية. و دليل آخر على مراعاة هذا المقام بعض العناوين في كتاب البيان و التبيين مثل: الخصومة[2]،...الخ

كما يمكن تلخيص الوظائف عند الجاحظ في وظيفيتين هما:

- الفهمية: وهي لتجلي المعرفة واكتشاف وبيان ما خبأه صدر القائل كما في قوله: « لأنَ مدارَ الأمرِ والغايةَ التي إليها يجري القائل والسامع، إنّما هو **الفهمُ والإفهام**، فبأيِّ شيء بلغتَ الإفهامَ أوضحتَ عن المعنى، فذلك هو البيانُ في ذلك الموضع »[3].

[1] البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ط7، 1998،1/92

[2] نفسه،ص8/1

[3] نفسه،8/1

- الإقناعية: وضحها في قوله : « قائمةٌ على الصواب اللغوي، والتوسط البلاغي في حوار مع المقام »[1] أي؛ لبيان الإقناع والتأثير. وفيها زاوج بين مصطلحين هما "البيان" الذي تصدر الكتاب ومصطلح البلاغة الذي كان بين الثنايا حيث أن ربطها-البلاغة- بالخطاب والإقناع هو البيان، وكان الغرض من ذلك هو ضبط مفهوم البيان لإتسامه بالشمولية والسعة[2].

3.2.2.مرحلة ما بعد التنظير: وهي المرحلة التي جاءت بعد الجاحظ، وحاولت ضبط بعض السياقات الخطابية، من الجهة التنظيرية، وهي من مكمّلات التنظير للإستراتيجية الإقناعية للخطاب التي تكاملت ركائزها لدى الجاحظ، ونذكر من أبرز من مَثَّلَ هذا الجهد التكميلي للنظرية الإقناعية للخطاب: أبا الحسن بن إسحاق بن وهب (337هـ)، وأبا هلال العسكري (395هـ)، عبد الرحمن بن خلدون (808هـ).

أبو إسحاق بن وهب: ربط الحجاج بالجدل و المجادلة في كتابه "البرهان في وجوه البيان"؛ حيث قدم تعريفا دقيقا للجدل و المجادلة بقوله: «وأمّا الجدل والمجادلة، فهما قول يُقصد بهما إقامة الحجة فيما اختلف فيه اعتقاد المتجادلين، ويستعمل في المذاهب والديانات، وفي الحقوق والخصومات، وفي التسؤل والاعتذارات، ويدخل في الشعر وفي النثر»[3]، حدّد ابن وهب في هذا التعريف هدف الجدل وغايته (إقامة الحجة)، وشرطه (الخلاف بين المتجادلين)، ومجال استعماله (المذاهب والديانات ...)، وشكله الخطابي (الشعر والنثر).

لقد صنف و قسم الجدل إلى تصنيفات أخلاقية و ميز بين الجدل و المحمود و الجدل المذموم : « ... فأمّا المحمود، فهو الذي يقصد به الحق، ويستعمل في الصدق، وأمّا المذموم، فما أريد به المماراة والغلبة، وطُلب به الرياء و السمعة... »[4].

---

[1] البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ،محمد العمري، إفريقيا الشرق،بيروت،لبنان، دط،1999م، ص200.

[2] ينظر: البيان والتبيين، الجاحظ،136/1.

[3] البرهان في وجوه البيان، أبو الحسن إسحاق بن وهب، تح: حفني محمد شرف، مطبعة الرسالة، مصر، د.ط ، 1969م، ص 176.

[4] نفسه، ص 177.

و قد اشترط "ابن وهب" في أدب الجدل ما يلي:

« أن يجعل المجادلُ قصده الحق، وبغيته الصواب...»[1].

« ألاّ تسحره الكثرة والقلة فيما يطلبه من الحق، فيقلّد الأكثرين، [أو يريد التكبر عليهم] أو يريد التكثّر بهم والترؤس عليهم بمتابعتهم »[2].

« وأن يخرج من قلبه التعصب...و ألا يقبل من ذي قول مصيب فيه كلّ ما يأتي به لموضع ذلك الصواب الواحد، ولا بردّ على ذي قول مخطئ فيه كل ما يأتي به لموضع ذلك الخطأ الواحد، بل لا يقبل قولا إلا بحجة، ولا يردّه إلا للعلة...»[3].

« وألا يعجب برأيه، وما تسوّله له نفسه...وأن يتجنب الكذب في رأيه...وأن يتجنب الضجر وقلة الصبر...وأن يكون منصفا غير مكابر...وأن يحلم عما يسمع من الأذى والنبز، ولا يشغب إذا شاغبه خصمه، ولا يردّ عليه إذا أربى في كلامه، بل يستعمل الهدوء والوقار...»[4] .

أمّا بالنسبة **لأبي هلال العسكري** (395هـ) من خلال كتابه (كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر) فأهمّ خاصيّة حجاجيةٍ أثارها هي تلك التي تعطي للحجاج أو الجدال قيمته التأثيرية، وبُعده الإقناعي وتلك التي عليها مناط الأمر كله في مجال القول، ألا وهي خاصية (لكل مقام مقال)، فنجده يقول في ذلك: «واعلم أنّ المنفعة مع موافقة الحال، وما يجب لكلّ مقام من مقال، فإن كنتَ متكلمًا أو احتجتَ إلى عملِ خطبةٍ لبعض من تصلح لهم الخُطَب، أو قصيدةٍ لبعض ما يُراد له القصيد، فتخطَّ ألفاظ المتكلمين، مثل الجسم والعَرَضِ والكونِ والتأليفِ والجَوهَر، فإنَّ ذلك هجنة»[5].

---

[1] نفسه، ص 188.

[2] نفسه، ص 189.

[3] نفسه ، ص 190.

[4] نفسه ، ص 191، 192.

[5] كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، أبو هلال العسكري، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ط1، 1952م.

أمّا بالنسبة **لعبد الرحمن بن خلدون** (808هـ) فقد خصّ الجدل و الخلافيات كسياقيْن ضابطيْن لنظرية البيان العربي المتصلة بإستراتيجية الإقناع، وقد أدرجهما ضمن الحديث عن علم أصول الفقه؛ فالجدل عنده هو: « معرفةٌ بالقواعد من الحدود والآداب في الاستدلال التي يتوصل بها إلى حفظ رأي أو هدمه، كان ذلك الرأي في الفقه أو غيره »[1]، ويقسم الجدل إلى طريقتين: « طريقة...خاصة بالأدلة الشرعية من النص والإجماع والاستدلال، وطريقة...عامة في كل دليل يستدل به من أي علم كان وأكثره استدلالا، وهو من المناحي الحسنة، والمغاطات فيه في نفس الأمر كثيرة...»[2]، وقد حاول ابن خلدون من خلال هذا التعريف وغيره من عرض حال الخلافيات في المذاهب الفقهية إثباتَ الإستراتيجية الإقناعية للخطاب الحجاجي في سياقه الجدلي.

3-نشأة الحجاج حديثا :

1.3-عند الغرب :

***الحجاج عند برلمان و تيتكا:** يعتبر مصنف في الحجاج و هو عمل مشترك بين برلمان و تيتكاه جماع تصانيف المؤلفين و زبدة أبحاثهما المتفرقة في مقالات و كتب أخرى لهما، و هو أكثر شهرة و اكتمالا و الماما بقضايا الحجاج. فهو ينزل الحجاج بين الخطيب و جمهوره، أي أن يكون هناك تفاعل بين الخطيب و الجمهور، و نجد أن صلته بالخطابة الأرسطية واضحة، كما استندا في تعريفهما للحجاج على صناعة الجدل من ناحية و صناعة الخطابة من ناحية أخرى، إذ يعرفان الحجاج بأنه :« موضوع الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شانها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات ا وان تزيد في درجة ذلك التسليم »[3].

---

[1] تاريخ ابن خلدون (كتاب العبر ...)، عبد الرحمن بن خلدون، ضبط: خليل شحاذة، ومراجعة: سهيل زكار، دار الفكر،بيروت- لبنان، د.ط، 2000م، ص579.

[2] نفسه ، ص 579.

[3] الحجاج أطره و منطلقاته و تقنياته من خلال "مصنف في الحجاج-الخطابة الجديدة" لبرلمان و تيتكاه، عبدالله صولة، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، تنسيق: حمادي صمود، ص299.

و قد علّق عن هذا التعريف الدكتور جميل عبد المجيد في كتابه "بلاغة الاتصال" فقال : « يسعى كل واحد منا إلى نشر ما لديه من فكرة أو معتقد، أو بضاعة في سياق من الحرية، لا باستخدام حد السيف فلم يعد أمام هذه التيارات إلا استخدام حد الخطاب، خطاب التأثير و الاستمالة و شاع هذا الخطاب و ازدهر إلى حد يسمح كما يقول بيرلمان بأن نطلق على القرن العشرين قرن الترويج و الدعاية »[1] .

و الغاية من الحجاج عندهما حدداها بقولهما : « غاية كل حجاج أن يجعل المقول تذعن لما يطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان، فانجح الحجاج ما وفق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب (انجازه أو الإمساك عنه) أو ما وفق على الأقل في جعل السامعين مهيئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة ».[2]

كما قسم المؤلفان الحجاج إلى قسمين بحسب نوع الجمهور هما :

- الحجاج الإقناعي : و هو حجاج يرمي أي إقناع جمهور خاص
- الحجاج الإقتناعي : و هو حجاج يرمي إلى أن يسلم به كل ذي عقل، و هو عام فهو النوع الذي ركزا عليه لكونه عقليا، و يعتبرونه أساس الإذعان و الحجاج و يحدث بين الاستدلال و الاقتناع[3].

و لقد لخص الدكتور محمد طروس أهم النتائج التي وصل إليها برلمان و زميلته و يمكن أن نصيغها كما يلي :

- إن أهم ما قدمه المؤلفان هو محاولة تخليصهم للحجاج من دائرة الخطابة و الجدل الذي كان سليل هذه الأخيرة بخاصة عند أرسطو.

[1] البلاغة و الاتصال، جميل عبد المجيد، دار غريب، مصر، دط، 2000م، ص115.
[2] الحجاج أطره و منطلقاته و تقنياته ، عبد الله صولة، ص299 .
[3] نفسه، ص 301.

- تخليص الحجاج من بوثقة المنطق و الأبنية الاستدلالية المجردة، مقرباه من مجالات استخدام اللغة مثل العلوم الإنسانية و الفلسفة و القانون، و من ثم فتح مجالات للحجاج و تخليصه من النظرة الضيقة التي جعلته أداة تقنية صرفة.
- اعتبار الحجاج حوارا غير مرتبط بالجدل كما رأينا عند أرسطو، فهو حوار بين الخطيب و جمهوره، و لا يمكن أن نعتبره مغالطة أو تلاعب بالمشاعر و العقول.
- الحجاج نظرية تدرس التقنيات الخطابية كوظيفة حجاجية.
- العملية الحجاجية تنطلق من أطروحة و نتيجة و إقناع.

هذه مجمل المفاهيم التي قدمها كل من بيرلمان و زميلته تيتكاه في دراستهما للحجاج.

- **الحجاج عند ديكرو و انسكومبر:**

(نظرية الحجاج في اللغة) إن هذه النظرية التي وضع أسسها اللغوي الفرنسي "أزفالد ديكرو"و"جان كلود انسكومبر" نظرية لسانية تهتم بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوفر عليها المتكلم و ذلك بقصد توجيه خطابة وجهة ما، تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية، ثم إنها تنطلق من الفكرة الشائعة التي مؤداها: "أننا نتكلم عامة بقصد التأثير"[1]، فالمتكلم عندما ينتج قولا ما فإنه يقصد التأثير في السامع، بواسطة بنية اللغة ذاتها، و لهذا يعرف الحجاج حسب أصحاب هذه النظرية بأنه : «انجاز متواليات من الأقوال بعضها بمثابة الحجج اللغوية و بعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها »[2]، فهم يعتبرون أن الحجاج هو الوظيفة الأساسية للغة إلى جانب وظائفها الأخرى، و هذا واضح من خلال المبادئ التي تقوم عليها النظرية و تتمثل فيما يلي:

*الوظيفة الأساسية للغة هي الحجاج

*المكون الحجاجي في المعنى أساسي، و المكون الإخباري ثانوي

[1] نحو مقاربة حجاجية للاستعارة، أبو بكر العزاوي، مجلة المناظرة، المغرب، ع4، 1-مايو-1991، ص78.
[2] اللغة و الحجاج، أبو بكر العزاوي، العمدة في الطبع، ط1، 2006م، ص16.

*عدم الفصل بين الدلاليات و التداوليات و الدعوى إلى فرضية "التداوليات المدمجة"[1].

و في الحقيقة لقد انبثقت نظرية الأفعال اللغوية التي وضع أسسها "أوستن و سيرل"، و قد قام "ديكرو" بتطوير أفكار و آراء "أوستن" بالخصوص و اقترح في هذا الإطار إضافة فعلين لغويين هما : فعل الاقتضاء و فعل الحجاج[2]. مما يعني أن الحجاج في رأيه لغوي لساني و منه قام "ديكرو" بإعادة تعريف مفهوم التكليم (التلفظ) أو الانجاز بأنه: «فعل موجه إلى إحداث تحويلات ذات طبيعة قانونية أي مجموعة الحقوق و الواجبات، ففعل الحجاج يفرض على المخاطب نمطا معينا من النتائج باعتباره الاتجاه الوحيد الذي يمكن أن يسير عليه الحوار، و القيمة الحجاجية لقول ما هي نوع من الإلزام يتعلق بالطريقة التي ينبغي ان يسلكها الخطاب بخصوص تناميه و استمراره »[3].

إن ديكرو يفرق بيم معنيين للفظ الحجاج: المعنى العادي و المعنى الفني أو الاصطلاحي، و الحجاج موضوع النظر في التداولية المدمجة هو بالمعنى الثاني:[4]

*الحجاج بالمعنى العادي: و يعني طريقة عرض الحجج و تقديمها، و يستهدف التأثير في السامع، فيكون بذلك الخطاب ناجعا و فعالا، و هذا معيار أول لتحقيق السمة الحجاجية، غير انه ليس معيارا كافيا، إذ يجب ألا تهمل طبيعة السامع (أو المتقبل) المستهدف، فنجاح الخطاب يكمن غي مدى مناسبته للسامع، و مدى قدرة التقنيات الحجاجية المستخدمة على إقناعه فضلا عن استثمار الناحية النفسية في المتقبل من اجل تحقيق التأثير المطلوب فيه[5].

*الحجاج بالمعنى الفني: يدل على صنف مخصوص من العلاقات المودعة في الخطاب و الدرجة في اللسان، ضمن المحتويات الدلالية و الخاصية الأساسية للعلاقات الحجاجية أن تكون درجية أو قابلة

[1] نحو مقاربة حجاجية للاستعارة، أبو بكر العزاوي، ص 79.
[2] اللغة و الحجاج، أبو بكر العزاوي، ص 16.
[3] نفسه، ص ن.
[4] التداولية و الحجاج –مداخل و نصوص–، صابر الحباشة، دار صفحات للدراسات و النشر، ط1، 2008م،ص 15.
[5] نفسه ، ص21 .

للقيـاس بالـدرجات، أي أن تكـون واصـلة بـين سـلالم[1]. كمـا ركـز "ديكـرو و أنسـكومبر" في كتابهمـا "الحجاج في اللغة" على التداوليات المدمجة، التي كانت تقوم على تصور خطي لعلاقة التركيب و الدلالة و التداول، هذا التطور الذي كان يُعتمد في دراسة اللغة، كما يفيد أيضا "ديكرو" بجانب مهم و هو السلم الحجاجي، بعدما لاحظ أن الأقوال الحجاجية ليست على درجة واحدة من القوة، بل تتفاوت في قوتها الحجاجية[2].

2.3-الحجاج عند العرب:

***طه عبد الرحمن (الحجاج فلسفيا)**: قدم طه عبد الرحمن مصنفين في الحجاج حدد فيهما مفهومه وطبيعته والياته وهما في أصول الحوار وتجديد علم الكلام واللسان والميزان أو التكوثر العقلي حيث حول من خلالهما إيجاد رابط منطقي لغوي طوعه في سبك نظرية حجاجية تأخذ بقوة المنطق وسلامة اللغة لذلك تميزت نظرية الحجاج عنده بطابع فلسفي.

فقد عقد بابا في كتابه " اللسان والميزان" سماه "الخطاب والحجاج"، يرى فيه « أن الأصل في تكوثر الخطاب هو صفته الحجاجية، بناء على أنه لا خطاب بغير حجاج»[3]. كما عرّف الحجاج انطلاقا من مبدأين أساسيين هما "قصد الإدعاء" و"قصد الاعتراض"، إذ يقول: « إذ حد الحجاج أنه كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها»[4].

وحد الحجاج عنده "أنه فعالية تداولية جدلية، فهو تداولي لان طابعه الفكري مقامي اجتماعي، و جدلي لأن هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية "[5].

---

[1] نفسه، ص21-22.

[2] الحجاج في الإمتاع و المؤانسة لأبي حيان التوحيدي، حسين بولوطة، مذكرة ماجستير، إسماعيل زردومي،قسم اللغة العربية و آدابها، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2010/2009، ص27(160)، نقلا عن : خلية البحث التربوي، الحجاج في الفلسفة، أفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 2006، ص53

[3] اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن،ص213.

[4] نفسه ، ص226.

[5] نفسه،ص 31-32.

يختلف المنهج الاستلالي "الحجاج" حسب إختلاف مراتب السلوك التخاطبي للإنسان، فهناك ثلاث رتب وضعها "طه عبد الرحمن" وهي: الحوا، المحاورة، و التحاور، والتي سماها على التوالي، النظرية العرضية، النظرية الإعراضية والنظرية التعارضية، فأما مرتبة الحوار "النظرية العرضية" فإن العارض يتبع منهج الاستدلال البرهاني، وهو يتميز بخصائص صورية منها: التجديد التدقيق الترتيب بسط القواعد ،تمايز المستويات، استيفاء الشروط واستقصاء العناصر[1].

أما مرتبة المحاورة (الاعتراضية) فان المحاور يتبع المنهج الاستدلالي "الحجاج "حيث يقوم المحاور بطرح الكثير من المقدمات والنتائج ويفهم من قوله أمر غير تلك التي نطق بها كان يذكر دليلا صحيحا على قوله من غير أن يقصد التدليل به وهو نموذج ينتمي إلى المجال التداولي كما يعد هذا المنهج احتجاجي أكثر منه برهاني[2].

وأما مرتبة التحاور (النظرية التعارضية)فان المتحاور يعتمد منهجا استدلاليا هو"التحاج" حيث يثبت المتحاور قولا من أقاويله بدليل ثم يعود إليه ليثبته بدليل أقوى وان يثبت قوله بدليل ثم ينتقل لإثبات نقيضه بدليل آخر وان يثبت قولا بدليل ويثبت نقيضه بعين الدليل"[3].

***محمد العمري: (الحجاج بلاغيا)**: يعد هذا الأخير ابرز ناقد مغربي يظهر عنده الاهتمام بمقولات البلاغة المعاصرة عامة والحجاجية خاصة، سواء من خلال دراسته المبكرة حول بعض مظاهر الإقناع في الخطابة العربية القديمة أو من خلال ترجماته المتعددة لبعض رواد هذا التيار أو اهتماماته لإعادة رسم خارطة عامة للبلاغة العربية القديمة: روافدها، اتجاهاتها، امتداداتها، خصائصها الصوتية و النحوية و المنطقية[4].

[1] ينظر: نفسه، ص41.

[2] ينظر :نفسه،ص46.

[3] ينظر: نفسه،ص51.

[4] الحجاج في البلاغة العربية المعاصرة "بحث في بلاغة النقد المعاصر"، محمد سالم محمد الأمين الطلبة، دار الكتاب الجديد، بيروت_لبنان، ط1، 2008م، ص287.

فقد نظر للحجاج بطابع إقناعي تأثرا بالفلاسفة اليونانيين، اتضح هذا في كتابه "في بلاغة الخطاب الإقناعي" إذ يقول: «لقد حمل أفلاطون في محاوراته على الخطابة لاهتمامها بالإقناع بدل البحث عن الحقيقة »[1]. لهذا اعتمد على الدعائم الأرسطية لبلاغة الخطاب و التي ربطها أيضا بالإقناع، فيقول : «و بدا الحنين من جديد إلى "ريطورية" أرسطو التي تتوسل إلى الإقناع في كل حالة على حدة بوسائل متنوعة حسب الأحوال »[2].

فبلاغة الخطابة أصبح لها دور فعّال و مهم في التأثير في أحوال الناس، و قد ركز على المقام الأول خصوصا في الخطابة السياسية و تكون بين الأنداد و يكثر فيها النصح و المشاورات و المناظرات،[3] و الخطابة الاجتماعية تكون فيها الخطب في موضوعات اجتماعية تتناول العلاقة بين الناس و تنظيم المجتمع، و خطب ذات طبيعة وجدانية هدفها المشاركة و الإشراك في المسرات و الأحزان[4].

يضاف إلى كتاب "العمري" المذكور مقالات كثيرة تصب كلها في محاولته وضع البلاغة العربية في الطريق السيار لتكون جنبا إلى جنب مع البلاغة الجديدة الغربية، و هذا لا يتأتى حسبه إلا بعد فهم البلاغة فهما حقيقيا بالنظر إلى تعدد المصطلحات و البلبلة المفاهيمية التي يحدثها هذا التعدد من أمثال: بلاغة، خطابة، بلاغة عامة، بلاغة معممة، بلاغة الأسلوب، بلاغة الحجاج...ليتمكن الباحث و من خلاله القارئ من استيعاب هذا العلم و تطبيقاته، فيؤدي ذلك بنا إلى إعادة قراءة البلاغة العربية القديمة. من أهم المقالات: "البلاغة العامة و البلاغات المعممة"، "بلاغة الحوار" المنشوران في مجلة فكر و نقد المغربية. و ارتقى فكره البلاغي من خلال كتاب "البلاغة الجديدة بين التخييل و التداول" الذي يقول عنه صاحبه بأنه « يبحث في المنطقة البينية التي يتقاطع فيها التخييلي و التداولي، و هو بذلك

[1] في بلاغة الخطاب الاقناعي، محمد العمري، ص13.
[2] نفسه، ص14.
[3] نفسه، ص60.
[4] نفسه ، ص62.

يعيد البحث البلاغي إلى الواجهة باعتباره بحثا علميا يهتم بالخطاب في كليته، أي في بعديه التخييلي الأدبي و الحجاجي المنطقي ».[1]

***أبو بكر العزاوي (الحجاج لسانيا):**

يعد من أصحاب المشاريع الجديدة للدراسات الحجاجية اللغوية خصوصا، بحكم انفتاحه على النظريات الغربية. من أهم مشاريعه الحجاجية مجموعة من الكتب والمقالات ومن بين أهم كتبه اللغة والحجاج ، والخطاب والحجاج والحوار والحجاج والاختلاف .

فيما يخص كتابه "اللغة والحجاج " حاول فيه الإحاطة بتحديدات أساسية لنظرية الحجاج اللغوية. ويرى أن نظرية الحجاج ليست مقرونة بالبدايات الكلاسيكية للبلاغة الأرسطية، فأساس هذه النظرية حسبه تنطلق من أقطاب مدرسة " أكسفورد " ويعني كل من " أوستين" و "سيرل " اللذَين قاما بتقديم أبحاث حول مفهوم الأفعال اللغوية، وقد قام "ديكرو" بتطويرها، كما اعتبر أن المراد من مفهوم الحجاج هو ما أسس على بنية الأقوال اللغوية، وعلى تسلسلها واشتغالها داخل الخطاب[2]. وأثار أيضا في مبحث من مباحثه نظرية السلم الحجاجي، الذي يمكّننا من تحديد قيمة القول الحجاجية، ثم انتقل إلى إثارة موضوع الروابط والعوامل الحجاجية، ومدى تعلّقها بالمبادئ الحجاجية وأعطى أمثلة بروابط وعوامل حجاجية من اللغة العربية. كما أفرد جانبا للحديث عن الاستعارة والحجاج، هادفا إلى مقاربتها من منظور حجاجي.

[1] بلاغة الخطاب المكتوب "دراسة لتقنيات الحرف و اللون و الصورة في خطاب الدعاية التجارية"، أمينة رقيق، رسالة دكتوراه، محمد خان، كلية الآداب و اللغات_قسم اللغة العربية، جامعة محمد خيضر_بسكرة، 2013-2014، ص95 (317).

[2] الحجاج واللغة، أبو بكر العزاوي، ص،14-15.

أما في كتابه "الخطاب والحجاج" فقد انتقل « من حجاجيات الجملة أو النص إلى حجاجيات الخطاب بما هو المجال الرحب للحجاج»[1] و بوصفه المحصن الأساس الذي تتجلى فيه بشكل أكبر طرائق اشتغاله ووجوه استعماله[2] .

وقد اختار المؤلف لبحثه "الخطاب و الحجاج" غاية عليا و هي كما أعلن عنها في مقدمة الفصل الأول السعي إلى تطوير النظرية الحجاجية، و توسيع مجال تطبيقها ليشمل مختلف النصوص الدينية و الأدبية و السياسية والتاريخية والصحفية و الإشهارية[3]. واستطاع الباحث العبور من المستوى التنظيري لنظرية الحجاج في الخطاب، إلى التطبيق على أربع نماذج من الخطابات هي: الخطاب القرآني و الخطاب الشعري و الخطاب المثلي، و الخطاب الإشهاري، التي شكلت فصول الكتاب، تصدرتها مقدمة، ذهب فيها إلى أن كل الخطابات المنجزة بواسطة اللغة الطبيعية حجاجية.

***عبد الله صولة :**

كان له الفضل في كشف النقاب عن أهم مؤلَّف في البلاغة الجديدة، وهو كتاب "الخطابة الجديدة" "لبيرلمان وتيتكا" من خلال مقاله الموسوم بـ"الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج "الخطابة الجديدة" لبيرلمان وتيتكاه، ضمن المؤلف الذي أشرف عليه "حمادي صمود": أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم؛ ففي هذا المقال يعطينا صورة واضحة المعالم حول أفكار المؤلفَين والمفاهيم الخاصة بالجوانب المعرفية الابستمولوجية لنظرية الحجاج لديهما .

ومواصلة لنشاطه ألف كتاب "الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم مظاهره الأسلوبية"

[1] الخطاب والحجاج ،أبو بكر العزاوي ،مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت،لبنان،ط1 ، 2010م، ص35.
[2] نفسه،ص125.
[3] نفسه، ص 17 .

أراد انطلاقا من النظريات الحجاجية الحديثة إثبات أن القرآن خطاب، وكونه كذلك يقتضي أنه إقناع وتأثير، وأنه يتميز بخصائص أسلوبية في مستوى المعجم والتركيب والصورة، ويرى أن أسلوب القرآن ذو بعد حجاجي من نوع خاص دون غيره من سائر الخطابات. كما أنه عمد إلى نقد نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني كونها لم تراع في حكمها على النصوص-وبالأخص الآيات القرآنية- سوى الجوانب الجمالية متغاضية عن القيم الأخلاقية التي تحملها معانيها أو الأبعاد الحجاجية التي من أجلها استُجلبت تلك المعاني. وهذا الجهد يهدف إلى هدم الثنائية الضدية التي قامت عليها البلاغة في الغرب (بلاغة الحجاج / بلاغة الأسلوب).[1]

4- أنماط الحجاج:(مقاربة الحجاج بالتواصل):

صنّف عبد الهادي بن ظافر الشهري في كتابه"استراتيجيات الخطاب" الحجاج إلى صنفين وهما: الحجاج التوجيهي والحجاج التقويمي باعتبار استحضار حجاج المرسل إليه من عدمه؛ سواء الحجاج السابق أو المتوقع فقد يكتفي المرسل بإنتاج خطابه دون تفكير فيما لدى المرسل إليه من حجج قد يواجهه بها، أو بأن يضع تلك الحجج المفترضة أو المتوقعة في حسبانه فتصبح أساسا يبنى عليه خطابه[2].

في حين عرض طه عبد الرحمن في كتابه "اللسان والميزان أو التكوثر العقلي" ثلاثة أنماط من الحجاج التجريدي والحجاج التوجيهي والحجاج التقويمي.

1- **الحجاج التجريدي**: وهو الإتيان بالدليل على الدعوى على طريقة أهل البرهان علما بأن البرهان هو الاستدلال الذي يعنى بترتيب صور العبارات بعضها على بعض بصرف النظر على مضامينها واستعمالاتها فيتبين أن الحجة المبينة على التجريد أو "الحجة المجردة" ليست إلا مظهرا فقيرا من مظاهر الاستدلال في الخطاب الطبيعي أو رتبة دنيا من مراتب هذا الاستدلال، إذ لا يقع التوسل

[1] التداولية و الحجاج –مداخل و نصوص-، صابر الحباشة، ص143.

[2] استراتيجيات الخطاب –مقاربة تداولية-،عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص470.

بها إلا عند إرادة تقليد الأمر الصناعي وتنبني أصلا على اعتبار الصورة وإلغاء المضمون والمقام [1]؛ إذا فهذا النوع من الحجاج يهتم فقد بالشكل دون المضمون ،حيث يعتني بالعبارات دون الاهتمام بمضامينها ومقاماتها.

2- **الحجاج التوجيهي**: وهي إقامة الدليل على الدعوى بالبناء على فعل التوجيه الذي يختص به المستدل ،علما بان التوجيه هو هنا فعل ايصال المستدل لحجته إلى غيره ؛فقد ينشغل المستدل بأقواله من حيث إلقائه لها ولا ينشغل بنفس المقدار بتلقي المخاطَب لها ورد فعله عليها،فتجده يولي أقصى عنايته إلى قصوده وأفعاله المصاحبة لأقواله الخاصة ،غير أن قصر اهتمامه على هذه القصود والأفعال الذاتية يفضي به إلى تناسي الجانب العلاقي من الاستدلال ،هذا الجانب الذي يصله بالمخاطب ويجعل هذا الأخير متمتعا بحق الاعتراض عليه كما يقضي به إلى تقديم وحدة الجملة على وحدة النص وجعل الأولى مستتبعة لثانية.

فيتضح أن الحجة المبنية على التوجيه أو "الحجة الموجهة "وان زادت على الحجة المجردة درجة بفضل اعتبارها لمقام المدعي ،قصدا وفعلا،فإنها لا ترقى إلى مستوى الوفاء بموجبات الاستدلال في الخطاب الطبيعي ،إذ تنبني أصلا على اعتبار فعل المخاطب وإلغاء رد فعل المخاطب[2].

إذا هذا النوع من الحجاج يهتم فقط بالمخاطب وانشغاله بإيصال رسالته إلى المخاطب دون الاهتمام بردة فعل المخاطب ورأيه.

3- **الحجاج التقويمي**: هو إثبات الدعوى بالاستناد إلى قدرة المستدل على أن يجرد من نفسه ذاتا ثانية ينزلها منزلة المعترض على دعواه ؛فهاهنا لا يكتفي المستدل بالنظر في فعل إلقاء الحجة إلى المخاطب واقفا عند حدود ما يوجب عليه من ضوابط وما يقتضيه من شرائط ،بل يتعدى ذلك إلى النظر في فعل التلقي باعتباره هو نفسه أول متلقي لما يلقي فيبنى أدلته أيضا على مقتضى ما يتعين على

[1] اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، ص226-227.
[2] نفسه، ص227-228.

المستدَل له أن يقوم به مستبقا استفساراته و اعتراضاته ومستحضرا مختلف الأجوبة عليها ومستكشفا إمكانات تقبلها واقتناع المخاطب بها.

وهكذا فان المستدل يتعاطى لتقويم دليله بإقامة حوار حقيقي بينه وبين نفسه ،مراعيا فيه كل مستلزماته التخاطبية من قيود تواصلية وحدود تعاملية ،حتى كأنه عين المستدل له في الاعتراض على نفسه.

فيتبين إن الحجة المبنية على التقويم أو "الحجة المقومة" تنهض بما ينطوي عليه الاستدلال في الخطاب الطبيعي من أسباب الثراء والاتساع ؛إذ تنبني أصلا على اعتبار فعل الإلقاء وفعل التلقي معا ،لا على سبيل الجمع بينهما فحسب ،بل على سبيل استلزام أحدهما للآخر[1].

فالحجاج التقويمي لا يتوقف في حدود المخاطب وخطابه فقط بل يهتم أيضا بردة فعل المخاطب.

وفي الأخير يتضح لنا بعد دراستنا لأنواع الحجاج، أن حقيقة الخطاب الانبناء على العلاقة الاستدلالية وانه لا علاقة استدلالية إلا بتحصيل قصدين هما: " قصد الادعاء" و"قصد الاعتراض" غير أن هذين القصدين قد يجيئا على مقتضى التجريد أو التفريق أو الجمع، مما يجعل العلاقة الاستدلالية ضروبا ثلاثة بعضها فوق بعض، وهي "الحجاج التجريدي" وهو الاستدلال الذي يتعاطى فيه المحتج تقليد البرهان الصناعي و "الحجاج التوجيهي" ويفوق الأول رتبة، وهو الاستدلال الذي يقتصر فيه المحتج على اعتبار وجهة المدعي وحدها، وأخيرا "الحجاج التقويمي" وهو أعلاها جميعا، إذ هو الاستدلال الذي يأخذ فيه المحتج بوجهة المعترض فضلا عن وجهته الخاصة بوصفه مدعيا[2].

إذا نستطيع القول أن الحجاج التقويمي هو أفضل أنواع الحجاج نظرا لما يوفره من شروط في العملية الحجاجية.

[1] نفسه، ص228.

[2] نفسه، ص228-229.

5-الآليات الحجاجية: يعتمد الخطاب في الحجاج على تقنيات مخصوصة لا تختص بمجال من المجالات دون غيره، فهي مطواعة حسب استعمال المرسل لها، إذ يختار حججه و طريقة بنائها، بما يتناسب مع السياق الذي يحق بخطابه.

و يقسم "بيرلمان و زميله" تقنيات الحجاج اللغوية إلى فئتين، هما: تقنيات طرق الوصل، و تقنيات طرق الفصل. و يقصد بالأولى "ما يتم به فهم الخطط التي تقرب بين العناصر المتباعدة في الأصل لتمنح فرصة توحيدها من أجل تنظيمها و كذلك تقويم كل منها بواسطة الأخرى سلبا أو إيجابا، و تقنيات الفصل هي التي تكون غايتها توزيع العناصر التي تعد كلا واحدا، أو على الأقل مجموعة متحدة ضمن بعض الأنظمة الفكرية أو فصلها أو تفكيكها"[1].

و ليست هذه الأدوات هي الحجج بعينها، كما أنها لا تستوعبها كلها، و إنما هذه الأدوات هي قوالب تنظم العلاقات بين الحجج و النتائج، أو تعين المرسل على تقديم حججه في الهيكل الذي يناسب السياق.

و يمكن تقسيم تقنيات الحجاج إلى:

الآليات اللغوية:

***ألفاظ التعليل:** تعد ألفاظ التعليل من الأدوات اللغوية التي يستعملها المرسل لتركيب خطابه الحجاجي، و بناء حججه فيه، و منها : المفعول لأجله، و كلمة السبب، و لأن. إذ لا يستعمل المرسل أي أداة من هذه الأدوات، إلا تبريرا أو تعليلا لفعله، بناءا على سؤال ملفوظ به أو مفترض.[2]

و نجد كذلك "كي" الناصبة للفعل المضارع، و مثلها الام، سواء أكانت لام كي، أم لام التعليل، و الام الجارة. و من أدوات التعليل ما يسمى بالوصل السببي[3].

[1] استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ،عبد الهادي بن ظافر الشهري ،ص477.

[2] نفسه، ص478.

[3] ينظر: نفسه، ص479-480.

***الأفعال اللغوية:** يرى (فان ايمرن و جروتندروست) أن الأفعال اللغوية تسهم بادوار مختلفة في الحجاج بين طرفي الخطاب و تترتب الأفعال حسب مقدار الاستعمال، فالمرسل يستعمل اغلب أصناف الفعل التقريري، ليعبر عن وجهة نظره و ليحدد موقفه من نقطة الخلاف، كما يستعمله للمواصلة في حجاجه من خلال التأكيد أو الادعاء. و قد صنف "سيرل" الأفعال اللغوية إلى "أفعال إلتزامية" التي تستعمل في التعبير عن قبول وجهة النظر أو الرغبة في الحجاج أو عدمه، و في تدعيم موقف المرسل الذي اتخذه لتعبير عن الموافقة و على مناصرة الدعوى أو معاداتها و اتخاذ القرار ببدء النقاش مع الموافقة على ضوابطه .[1]

أما الأفعال التوجيهية فلا يستعمل المرسل جميع أصنافها و ذلك لطبيعتها التي لا تناسب ما تقتضيه طبيعة النقاش، و لذلك يقتصر المرسل على البعض منها: مثل التحدي لدفاع عن وجهة النظر، أو طلب الحجاج.[2]

***الحجاج بالتبادل:** يحاول المرسل بهذه الآلية أن يصف الحال نفسه في وضعين ينتميان إلى سياقين متقابلين، و ذلك ببلورة علاقات متشابهة بين السياقات،كما يمكن أن تكون الحجج نقلا لوجهة النظر بين المرسل والمرسل إليه . وميزة هذا النوع هو كثرة استعمال الحجاج بالتبادل في النصائح لإقناع المرسل بجدوى ما يذهب إليه.[3]

***الوصف:** يشمل الوصف عددا من الأدوات اللغوية منها: الصفة واسم الفاعل واسم المفعول[4].

***تحصيل الحاصل:** هناك من يعد بعض الخطابات مجرد حشو و تحصيل حاصل، لا تقدم شيئا في الخطاب. لكن و في حقيقة الأمر، فان لكل جزء من الخطاب دلالته الحجاجية الخاصة به.

---

[1] نفسه ، ص 481-482 .

[2] نفسه ، ص 482 .

[3] ينظر: نفسه، ص486.

[4] نفسه،ص486.

« و يمثل هذا الضرب الخطابي ما يسمى بالتمثيل، و يتجسد من خلال تعدد التعاريف رغم وحدة المعرف »[1].

الآليات البلاغية:

تعد البلاغة آلية من آليات الحجاج، و ذلك لاعتمادها الاستمالة و التأثير عن طريق الحجاج بالصور البيانية و الأساليب الجمالية: أي إقناع المتلقي عن طريق استمالة تفكيره و مشاعره معا حتى يتقبل القضية [2].

و الأساليب البلاغية قد يتم عزلها عن سياقها البلاغي لتؤدي وظيفة لاجمالية إنشائية (كما هو مطلوب في سياق البلاغة)، بل تؤدي وظيفة إقناعية استدلالية (كما هو مطلوب في الحجاج).

و من هنا يتبيّن أن معظم الأساليب البلاغية تتوفر على خاصية التحول لأداء أغراض تواصلية و لانجاز مقاصد حجاجية[3].

1-تقسيم الكل إلى أجزائه:

وهو "ذكر المرسل حجته في أول الأمر ثم يعود إلى تعداد أجزائها، إن كانت ذات أجزاء وذلك ليحافظ على قوتها الحجاجية، فكل جزء منها بمثابة دليل على دعواه"[4].

معناه أن المرسل يقوم بطرح قضية أو عرض أطروحة ثم يتوسع فيها بعرض مجموعة من الحجج وكل حجة من هذه الحجج تخدم هذه القضية أو الأطروحة.

2-الاستعارة: هناك نوعان من الدراسات التي اهتمت بالاستعارة، الأولى تنظر إليها من حيث وظيفتها التزيينية، و الثانية تنظر إليها من حيث وظيفتها الحجاجية. يرى في هذا السياق كلا من

[1] ينظر : استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ،عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص490.

[2] آليات تشكل الخطاب الحجاجي "بين نظرية البيان و نظرية البرهان"، أ.هاجر مدقن، مجلة الأثر، 5.مارس.2006 ، ص191

[3] التداولية و الحجاج "مداخل و نصوص"، صابر الحباشة، ص50.

[4] استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص494.

"جورج لايكوف" و "مارك جونسون" « إن الاستعارة تمثل بالنسبة لعدد كبير من الناس أمرا مرتبطا بالخيال الشعري و الزخرف البلاغي. إنها تتعلق في نظرهم، بالاستعمالات اللغوية غير العادية و ليس بالاستعمالات العادية، و علاوة على ذلك؛ يعتقد الناس أن الاستعارة خاصية لغوية تنصب على الألفاظ و ليس على التفكير أو الأنشطة، و على العكس من ذلك فقد انتبهنا إلى أن الاستعارة ذات بعد حجاجي، لها مقومات حجاجية حاضرة في كل مجالات حياتنا اليومية إنها ليست مقتصرة على اللغة، بل توجد في تفكيرنا و في الأعمال التي نقوم بها.»[1]

و هذا ما اعتقده بيرلمان في أبحاثه حول الاستعارة، إذ عدها مقوما حجاجيا؛ حيث حاول أن يردم الهوة بين الخطاب الحجاجي النفعي و الوظيفي و الأدب. فالاستعارة متى نجحت في استمالة المخاطب لم تعتبر زخرفة و إنما تعد مقوما حجاجيا [2] .

ويوضح برلمان تصوره للاستعارة بقوله" إن أي تصور للاستعارة لا يلقي الضوء على أهميتها في الحجاج لا يمكن أن يحظى بقبولنا ،إلا أننا نعتقد أن دور الاستعارة سيتضح أكثر بربطه بنظرية التناسب الحجاجي"[3]

وخلاصة القول أن الاستعارة من الوسائل اللغوية التي يستغلها المتكلم للوصول إلى أهدافه الحجاجية بل إنها من الوسائل التي يعتمدها بشكل كبير جدا ما دمنا نسلم بفرضية الطابع المجازي للغة الطبيعية وما دمنا نعتبر الاستعارة إحدى الخصائص الجوهرية للسان البشري[4].

[1] الاستعارات التي نحيا بها، جورج لايكوف و مارك جونسون، تر:عبد المجيد جحفة، ط2، ص21

[2] آليات الإقناع في الخطاب القرآني، هشام بلخير، رسالة ماجستير، محمد بوعمامة، قسم اللغة العربية و آدابها، جامعة الحاج لخضر باتنة،2012، ص132 (182) .

[3] نفسه،ص132.

[4] اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، ص105.

3-التمثيل: يقول برلمان: "هو طريقة حجاجية تعلو قيمتها على مفهوم المشابهة المستهلك، حيث لا يرتبط التمثيل بعلاقة المشابهة دائما وإنما يرتبط بتشابه العلاقة بين أشياء ما كان أن تكون مترابطة"[1].

إن الآليات التمثيلية هي عبارة عن الاستدلالات التي يقع التوسل فيها بعلاقة المشابهة في استخلاص النتيجة فقد جعله (طه عبد الرحمن)من الأدوات الحجاجية "لا احد ينازع أن آليات التمثيل من أوسع الطرق الاستدلالية استعمالا ومن أشدها تأثيرا في الخطابات الإنسانية "[2].

ويعد الحجاج التمثيلي هو الأنسب للخطاب اللغوي وللمتلقي ويرى محمد العمري أن المثل: " يقوم في الخطابة مقام الاستقراء في المنطق أو المثل هو استقراء بلاغي والمثل حجة تقوم على المشابهة بين حالتين في مقدمتها ويراد استنتاج نهاية احديهما بالنظر إلى نهاية مماثلتها[3].

4-الكناية: أسلوب الكناية من الأساليب التي تعطي لنص الأدبي معنيين؛ إحدهما قريب غير مقصود وقد يكون مقصودا أيضا و آخر يختفي خلف النص وهو الذي يسعى إليه منشئ النص الأدبي؛ بما له من تأثير قوي في المتلقي ولما يمتلكه من مهارة فنية هي مانحة للنص سمة جمالية تكون ذات تأثير حجاجي يسعى إليه الخطيب لتحقيق الإقناع أو الاستمالة أو المشاركة أو التغير[4].

فالمتكلم حين يلجأ إلى الكناية فانه لا يزيد في المعنى من حجمه و إنما يزيد فيه من حيث إثباته وتوكيده، ولذلك فالكناية لأبلغ من الحقيقة.

---

[1] الحجاج في النص القرآني، إيمان درنوني، رسالة ماجستير، د:الجودي مرداسي، قسم اللغة العربية وآدابها جامعة الحاج لخضر باتنة، 2013، ص81،(187).

[2] تحديد المنهج في تقويم التراث، طه عبد الرحمن ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، ص174.

[3] محمد العمري في بلاغة الخطاب الاقناعي "مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية"، ص82.

[4] وسائل الحجاج في خطب الإمام علي بن الحسين، هادي سعدون هنون العارضي، مجلة مركز دراسات الكوفة، جامعة الكوفة، ص103.

5-البديع: استقر الأمر منذ مرحلة التقعيد في البلاغة العربية (القرن السابع الهجري) على أن وظيفة البديع هي التحسين ،وان هذا التحسين قد يكون في اللفظ وقد يكون في المعنى و الأول هو تحسين اللفظ أو المحسنات اللفظية والثاني هو تحسن المعنى أو المحسنات المعنوية[1].

إذ أن للبديع دورا حجاجيا لا على سبيل زخرفة الخطاب ولكن بهدف الإقناع والبلوغ بالأثر مبلغة الأبعد حتى لو تخيل الناس غير ذلك والبلاغة العربية مليئة بهذه الصور والإمكانات ومليئة بالشواهد التي تثبت أن الحجاج من وظائفها الرئيسية[2].

الآليات الشبه منطقية :

و يجسدها السلم الحجاجي بأدواته و آلياته اللغوية ، و يندرج ضمنه الكثير منها مثل: الروابط الحجاجية (لكن،حتى،فضلا عن،ليس كذا فحسب، أدوات التوكيد) درجات التوكيد، الإحصاءات و بعض الآليات التي منها الصيغ الصرفية مثل: التعدية بأفعل التفضيل و القياس و صيغ المبالغة[3].

أ-السلم الحجاجي:

هو علاقة ترتيبية للحجج يمكن أن نرمز لها كالتالي:

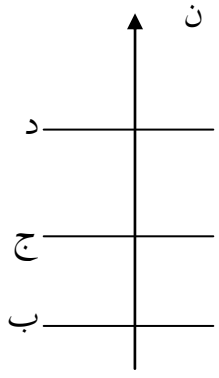

[1] البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية ،د:جميل عبد المجيد ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1998م،ص75.

[2] استراتيجيات الخطاب: مقاربة تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص498.

[3] نفسه ، ص477.

ن: نتيجة:

"ب" و"ج" و"د" حجج و أدلة تخدم النتيجة "ن" فعندما تقوم بين الحجج المنتمية إلى فئة حجاجية ما فان هذه الحجج تنتمي إذاك إلى نفس السلم الحجاجي، فالسلم الحجاجي هو فئة حجاجية موجهة[1].

ويتسم السلم الحجاجي بالسمتين الآتيتين:

أ- كل قول يرد في درجة ما بين السلم ،يكون القول الذي يعلوه دليلا أقوى منه بالنسبة ل"ن".

ب- إذا كان القول "ب" يؤدي النتيجة "ن"،فهذا يستلزم أن "ج" آو "د" الذي يعلوه درجة يؤدي إليها ،والعكس غير صحيح ،فإذا أخذنا الأقوال الآتية :

1- حصل زيد على الشهادة الثانوية

2- حصل زيد على الشهادة

3- حصل زيد على شهادة الدكتوراه [2]

فهذه الجمل تتضمن حججا تنتمي إلى نفس الفئة الحجاجية، و تنتمي كذلك إلى نفس السلم الحجاجي، فكلها تؤدي إلى نتيجة مضمرة، من قبيل "كفاءة زيد" أو "مكانته العلمية".

و لكن القول الأخير هو الذي سيرد في أعلى درجات السلم الحجاجي، و حصول زيد على الدكتوراه هو بالتالي أقوى دليل على مكانته العلمية. و يمكن الترميز لهذا السلم كما يلي[3]:

[1] اللغة و الحجاج ، أبو بكر العزاوي ، ص20-21 .

[2] نفسه ، ص21 .

[3] نفسه ، ص ن .

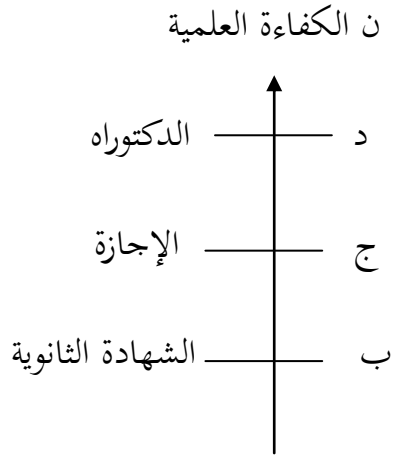

قوانين السلم الحجاجي:

نذكر من قوانين السلم الحجاجي ثلاثة وهي: (قانون الخفض، قانون تبديل السلم "النفي"، قانون القلب):

*قانون الخفض: مقتضى هذا القانون انه إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم فان نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها.

*قانون تبديل السلم "النفي": مقتضى هذا القانون انه إذا كان القول دليلا على مدلول معين. فان نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله.

*قانون القلب: مقتضى هذا القانون أنه إذا كان أحد القوانين أقوى من الآخر في التدليل على مدلول معين، فان نقيض الثاني أقوى من نقيض الأول في التدليل على نقيض المدلول[1].

***الأدوات اللغوية:**

[1] اللسان و الميزان أو"التكوثر العقلي" ، طه عبد الرحمن ، ص277 .

*الروابط الحجاجية : وهي أدوات لغوية أو عناصر لغوية تداولية تربط بين قولين (أو أكثر) داخلين في إستراتيجية حجاجية واحدة، بحيث تسمح بالربط بين المتغيرات الحجاجية، سواء أكانت هذه المتغيرات بين مجموعة الأقوال الحجج، أم بين الحجة والنتيجة، ويمكن تصنيفها إلى صنفين:[1]

- روابط مدرجة للحجج، مثل: (لأن، لكن ...).

- روابط مدرجة للنتائج، مثل: (إذن، وأخيرا ...).

وعليه فإنّ علاقة الحجة بالنتيجة علاقةٌ تحكم توجيهها المشيرات اللغوية الحجاجية (العوامل الحجاجية + الروابط الحجاجية)، وليست علاقة توائم توجيهاتها المساوقة الاعتباطية.

*درجات التوكيد : و يستعمل التوكيد مرتبا لغويا، و ذلك عند إنتاج الخطاب الخبري، في ثلاث درجات من التوكيد، طبقا لثلاث سياقات كما يصنفها السكاكي:

-الخبر الابتدائي

-الخبر الطلبي

-الخبر الإنكاري[2]

ب-آليات السلم الحجاجي :

***التعدية** : انّ التّعدية خاصة شكليّة تتّصف بها ضروب من العلاقات التّي تتيح لنا أن نمرّ من إثبات أنّ العلاقة الموجودة بين "أ" و "ب" من ناحيّة و "ب" و "ج" من ناحية أخرى هي علاقة واحدة إلى استنتاج أنّ العلاقة نفسها موجودة بالتالي بين "أ" و "ج".

[1] بلاغة الإقناع في المناظرة مقاربات فكرية، عبد اللطيف عادل، منشورات ضفاف،بيروت ،لبنان، ومشورات الاختلاف ،الجزائر،دار الأمان الرباط،ط1، 2013م،ص 100.

[2] استراتيجيات الخطاب-مقاربة لغوية تداولية- ، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص523.

نلاحظ أنّ التّعدية مبنيّة على علاقة التّضمن وهذا ما نلمسه في المثال الذي ضربه "ببرلمان" "قضى سقراط نحبه لأنّه إنسان" النّتيجة المسكوت عنها "كلّ إنسان فان"[1].

***القياس المضمر** : هو احد أنواع القياس المنطقي و قد جمع أرسطو تحته مجموعة من البراهين الخطابية، و لا يعني القياس الضمني حسب قول "هافي Havet" بمجرد عرض خارجي في الاستدلال مرجعه إضمار إحدى المقدمتين فحسب، فهذا سطحي و لا أهمية له[2].

ففي حين يقوم القياس المنطقي على الاستنتاج العلمي، يقوم القياس المضمر ؛ أي القياس الخطابي على الرأي ، فالقياس المضمر هو قياس يقوم على الاحتمالات[3].

و يعرفه ابن سينا بقوله : « الضمير هو قياس طويت مقدمته الكبرى، إما لظهورها و الاستغناء عنها، كما جرت العادة في التعاليم، كقولك الخطان (أ ب) و (أ ج)، خرجا من المركز إلى المحيط، فينتج أنهما متساويان، و قد حذفت الكبرى لظهورها[4].

من خلال تعريف ابن سينا يتضح أن معيار القياس المضمر هو قياس محذوف المقدمة، و هي عادة المقدمة الكبرى.

***صيغ المبالغة**: و تعدّ الأوصاف المشتقة من الصيغ التي تمكن المرسل من بناء السلم الحجاجي، إذ يمكن استعمال تلك التي تحمل سمة هذا الترتيب في تكوينها الصرفي. و من الآليات الصرفية صيغ المبالغة، فرغم شروطها الأصلية التي تتخذ فيها، إلا أنها تفضل غيرها من الأوصاف مثل اسم الفاعل، كما تتفاضل فيما بينها. و لإدراك المرسل لهذا التفاضل بحكم تكوينه اللغوي، و مهارته التداولية، فانه يستعمل منها ما يعبر عن درجة الحجة التي يريد أن يعبر بها في خطابه؛ «لأنها تفيد من الكثرة و المبالغة الصريحة في معنى فعلها الثلاثي الأصلي ما لا تفيده إفادة صريحة صيغة: فاعل... و أشهر أوزانها خمسة

[1] مرتكزات الحجاج، سليمة محفوظي، السبت: 29/أكتوبر/2011، anfasse.org.

[2] في بلاغة الخطاب الإقناعي ، محمد العمري ، ص71.

[3] نفسه، ص71.

[4] أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي، طه السبعاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001م، ص226.

قياسية ؛ هي : فعّال...و مفعال...و فعول... و فعيل... و فَعِل...و هناك بعض الصيغ قليلة مقصورة على السماع عند القدماء؛ أشهرها من الفعل الثلاثي: فِعِّيل ».[1]

*حجة الدليل : تعتبر الشواهد الجاهزة إحدى ركائز الحجاج القوية، حيث يقوم المرسل بتوظيفها حسب السياق، و كما ذكرنا فهي جاهزة ؛ حيث أنها ليست من إنتاج المرسل و لكنها منقولة على لسانه، و بهذا فهي تعلو عن الكلام العادي درجة، مما يجعلها تعلو في السلم الحجاجي أيضا .

تصنف الشواهد الجاهزة من وجهة نظر "طه عبد الرحمن" إلى طريقتين، أهمها : هي (الطريقة الظاهرة) و تكون من خلال الاستشهاد بأقوال الآخرين من خلال النقل و التضمين و الإقتباس.

تسهم هذه الطريقة في رفع المرسل إلى درجة أعلى، و بالتالي منحه قوة السلطة في الخطاب. كما يتم استعمال (الأدلة الجاهزة) منها: النصوص الدينية و أقوال السلف و الحكم و المثال[2].

[1] استراتيجيات الخطاب-مقاربة تداولية-، عبد الهادي بن ظافر الشهري ،ص 529.

[2] نفسه، ص537 .

الفصل الثاني

في هذا الفصل ارتأينا أن نسلط الضوء على دراسة الآليات الحجاجية في رواية كان لها بالغ الأثر في النفوس الحاملة لأقدس قضية (قضية فلسطين و العودة)، وهي رواية "عائد إلى حيفا" لغسان كنفاني والتي استطاع من خلالها رسم واقع شعبه الأليم.

وببراعته اللغوية الاستثنائية وسم متنه الروائي بتعابير لغوية شديدة الثراء، أضفت القوة والإشعاع له. فوجدنا فيه تلك الأساليب الخلاقة التي كسرت جمود النص وأبعدته عن الرتابة، فقد صاغ كل الأحداث التي كانت تدور بين شخصيات الرواية برقي و براعة، وبرمزية ذكية جعلنا نعيشها تفصيلا تفصيلا.

1- التعريف بالراوي و الرواية:

1.1 غسان كنفاني:

أ- حياته: يعتبر غسان كنفاني من ابرز ممن حملوا باكرا المسؤولية في عمر الطفولة، فهو يمثل قدوة لشباب الفلسطيني الثائر ضد المحتل دفاعا عن الوطن و حمله همّ القضية الفلسطينية ولد "غسان كنفاني" في مدينة "عكا" بفلسطين في التاسع من نيسان (أفريل) سنة 1936، نرعرع مع عائلته في "يافا"، كان والده يعمل محاميا هناك[1]، تميزت هذه العائلة بجو مليء بالنضال، مما اثر هذا على شخصية "غسان"، و من هذا الجو حمل لواء الروح الوطنية المغامرة التي كان هدفها الأساسي هو: الوطن و ما يعانيه من استبداد و غطرسة المستعمر[2].

تلقى "غسان" تعليمه الابتدائي حتى شتاء 1948 في مدرسة ألفريد الفرنسية بـ "يافا"، إلى أن وقعت النكبة ؛ حيث اضطرت العائلة للعودة إلى "عكا"، و مكثت بضعة أشهر ، إلى أن غادرتها مع جموع من النازحين الفلسطينيين إلى لبنان في تاريخ 1948/5/16، تاركة وراءها بيوتها و ممتلكاتها، و خلف هذا أثرا كبيرا في نفسية غسان رغم صغر سنه، و من لبنان إلى سوريا حيث استقرت العائلة في مدينة دمشق في ظروف سيئة جدا و معاناة قاسية، مما دفع غسان الطفل البريء للعمل و المساهمة في إعالة أسرته[3].

ب- ثقافته : أكمل دراسته الإعدادية في دمشق في عام 1953م، عمل في مجال التدريس في إحدى المدارس الابتدائية الخاصة باللاجئين في سوريا[4]، حيث كان ينظر إلى حال شعبه و مصيره يوميا الذي آل إليه، من معاناة في المخيم و الشعور بالأسى و اليأس أمام عدو متجبّر احتل الوطن دون رحمة أو إنسانية و شرد شعبه و طمس شخصيته و حرمه من كافة حقوقه.

---

[1] ينظر: غسان كنفاني (جماليات السرد في الخطاب الروائي)، صبحية عودة زعرب، دار مجدلاوي، الأردن، ط1، 1996،ص11 .

[2] ينظر: غسان كنفاني (الكلمة و الجرح)، حيدر توفيق بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1995م، ص11.

[3] ينظر: غسان كنفاني (جماليات السرد في الخطاب الروائي)، صبحية عودة زعرب، ص11.

[4] نفسه ، ص12 .

إلا أنّ هذا الوضع المرير لم يضعف من عزيمة "غسان" من مواصلة كفاحه، و ساعده هذا العمل كمعلم على إتمام المرحلة الثانوية حتى تحصل على الباكالوريا، و انتسب بعد ذلك إلى جامعة دمشق قسم الأدب العربي حيث قضى ثلاث سنوات، فصل بعدها لأسباب سياسية. و في عام 1956م غادر إلى الكويت ليعمل مدرسا لمادتي الرسم و الرياضة لمدة أربع سنوات، و تعد من أخصب الفترات التي وسعت و عمقت ثقافته باطلاعه على أعمال ابرز المفكرين الغرب، عاد إلى بيروت عام 1960م و انضم إلى هيئة التحرير في "مجلة الحرية" كتب "غسان كنفاني" في كل ألوان الصحافة من افتتاحيات و خواطر إنسانية و عن المقاومات السياسية ؛ حيث سميت هذه الأخيرة بـ "أدب المقاومة في الأرض المحتلة". حضر العديد من المؤتمرات الأدبية و الصحفية و من أبرزها : مؤتمر الكتّاب الآسياويين و الإفريقيين الذي عقد بالقاهرة سنة 1966م[1]، عمل في جريدة الأنوار اللبنانية، ترأس مجلة الهدف سنة 1969م الناطقة باسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، حتى استشهد المناضل في 8-يوليو-1972م من طرف العدو الإسرائيلي بعبوة ناسفة مزقت جسده.

هكذا كانت حياة الكاتب مؤسسة ثقافية متكاملة و نموذجا خاصا للكاتب السياسي و الروائي و القاص و الناقد، كان مبدعا في مختلف مجالات حياته مميزا في نضاله و استشهاده، نال سنة 1966م جائزة أصدقاء الكتّاب في لبنان لأفضل رواية، كما نال جائزة منظمة الصحافيين العالمية (I.O.J) عام 1974م، و كذلك جائزة اللوتس التي يمنحها اتحاد الكتّاب آسيا و إفريقيا عام 1975 م، كما ترجمت أعماله لعدة لغات أجنبية من بينها رواية "عائد إلى حيفا".

ج- مؤلفاته: ترك غسان كنفاني كمّا هائلا من المقلات الأدبية والسياسية أو الدراسات النقدية المبعثرة في الدوريات، فصلا عن المؤلفات الأدبية الآنية منها:

[1] نفسه، ص12-15.

***روايات:**

رجال في الشمس – أم أسعد – ما تبقى لكم – العاشق – برقوق نيسان – الأعمى والأطرش – الشيء الآخر (من قتل ليلى الحايك؟) – عائد إلى حيفا .

***قصص قصيرة:**

موت سرير رقم 12 – أرض البرتقال الحزين – عالم ليس لنا – عن الرجال والبنادق – القميص المسروق.

***مسرحيات:**

الباب – القبعة والنبي – جسر إلى الأبد .

***دراسات:**

الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الإحتلال 1948 – 1968 م .

أدب المقاومة في فلسطين المحتلة 1948 – 1966 م .

في الأدب الصهيوني [1].

[1] عائد إلى حيفا، غسان كنفاني، منشورات الرمال، قبرص، ط2، 2015م، ص 80.

2.1 ملخص رواية عائد إلى حيفا:

هي رواية تجسد حنين العودة إلى الوطن، تتمحور معظم أحداثها في الطريق إلى حيفا، عندما عزما سعيد و زوجته العودة إلى هناك، بعد أن فتحت الحدود بين الكيان الصهيوني و الضفة الغربية بعد حرب حزيران سنة 1967م، لزيارة بيتهما الذي تركاه أثناء الحرب؛ و فيه رضيع، و هنا تبدأ الرواية حين وصل سعيد و زوجته إلى مشارف حيفا، متجها إليها عن طريق القدس بعد عشرون سنة من الغياب، حيث بدا عليهما الصمت بعد أن كانا لم يكفا عن الكلام في مختلف الأمور التي كانت تخصهما سابقا، و حين وصولهما أدركا أنهما لم يحدثا عن الآمر الذي جاءا من أجله، و تذكرا الماضي الأليم؛ ماضي نيسان 1948م، بدأت الذكريات تتدفق و تنهال عليهما كالسيل دفعة واحدة، فشعرا بقسوة الماضي و حدّته كحدّة السكين، و هنا تبدأ أحداث الرواية من خلال تصوير الكاتب لما حدث يوم الأربعاء 21-نيسان-1948م، فوصف الاجتياح المفاجئ للاستعمار اليهودي على حيفا، و مدى تأثيره الشديد و ما خلّفه من قصف و دمار و تشريد، كان سعيد حينها خارج البيت قبل القصف، تاركا زوجته "صفية" و ابنه "خلدون" في البيت، حيث اجتاح المستعمر شوارع حيفا لم يترك له المجال للعودة إلى زوجته و ابنه لأخذهما و الفرار معا، إلا أن القصف اشتد في الشوارع و صعب عليه الرجوع إلى البيت من كثرة اكتظاظ الشوارع بالناس الفارة نحو الشارع الرئيسي، و في نفس الوقت كانت زوجته صفية تنتظره في المنزل مع طفلها الصغير خلدون صاحب الخمسة أشهر، و هنا اشتد قلقها لعدم رجوع زوجها، فلم تتمالك نفسها و خرجت باحثة عن زوجها، تاركة الرضيع خلدون، و أخذت تجوب الشوارع باحثة عن زوجها وسط حشود الناس، و هنا أدركت أنها ابتعدت عن ابنها، فشرعت في الصراخ الشديد دافعة سيل الناس بكل قوتها، حتى وجدت زوجها سعيد فحاولوا العودة إلى البيت، لكن هيهات. حشود الناس يدفعونهم يمينا و شمالا؛ حيث اضطرا للنزوح و استقر بهما الحال في رام الله، و أنجبا ولدين و عاشوا هناك طوال عشرين سنة. إلا أن خلدون ظل مزروعا في ذاكرتهما رغم محاولات سعيد لاسترجاع ابنه لكن الوضع حال بينه و بين ذلك؛ حتى تمّلكه

اليأس، و مضت عشرون سنة تمكنا من العودة إلى حيفا لزيارة منزلهما القديم في الحليصة، وحين وصلا إلى المنزل طرقا الباب، فخرجت لهما امرأة يهودية اسمها "ميريام" و دعتهما لدخول، فتفاجأ الزوجان من حال منزلهما و بقاءه على حاله لم يتغير فيه شيء سوى سبع ريشات في المزهرية وجدها خمس ريشات فقط، فاستفسرا عن ذلك، فأجابتهما المرأة اليهودية التي من أصل بولوني هي الأخرى ضحية من ضحايا النازية ترفض الكيان الصهيوني، فأخبرتهما بان الطفل "دوف" لعب بهم، فعمّ عليهما الصمت جميعا، فقالت لهما أن "دوف" هو ابنهما و قد ربته طيلة عشرين سنة، و أخبرتهما كيف تبنت خلدون الذي أصبح "دوف"، الذي تسلمته من الوكالة اليهودية كهدية مع البيت حينها أدرك "سعيد" و زوجته "صفية" أن خلدون تربّى تربية يهودية و احتل الفكر الصهيوني قلب و عقل ابنهما، و في هذه اللحظة دخل عليهما "خلدون" أو "دوف"؛ و أخبرته "ميريام" أن هذين الزوجين هما والداه الأصليان، حتى انفعل و ثارت ثائرته و بدأ يستهزأ بهما و يصفهما بالجبن و العجز، مما اثبت لهما طغيان الفكر الصهيوني، مقرا بان الإنسان هو في نهاية الأمر قضية، و بعد محولات فاشلة في إقناع "خلدون" بالرجوع؛ أصيب سعيد بالحيرة الشديدة لأنّ ابنه "خالد" قد انظم إلى المقاومة ضد الاحتلال، و هنا وارد جدا أنهما سوف يلتقيان و يكون بين الإخوة عداوة. و هكذا أصبح البيت في نظرهما لا يساوي شيئا؛ بعد أن كان يمثل شوقا و حنينا.

إذن؛ ففي رواية (عائد إلى حيفا) يصور لنا الكاتب الوعي الجديد الذي بدأ يتبلور بعد هزيمة 1967م، إنها محاكة للذّات من خلال النظر في مفهوم العودة و مفهوم الوطن.

"فسعيد.س" العائد إلى مدينته التي ترك فيها طفله، يكتشف أن الإنسان في نهاية المطاف قضية و أن فلسطين ليست استعادة لذكريات؛ بل هي صناعة للمستقبل.

– تحليل الآليات الحجاجية في رواية (عائد إلى حيفا):

أولا: الآليات اللغوية:

ألفاظ التعليل:

***لام التعليل** : تعدّ من الروابط الحجاجية التي نربط بين النتيجة و الحجة، و لدعم و تبرير النتيجة.

نماذج من الرواية:

النموذج الأول:

«...طوال السنوات العشرين الماضية و أنا محتارة، و الآن دعنا ننتهي من كل شيء. أنا أعرف أبوه، و أعرف أيضا أنه ابننا، و مع ذلك لندعه يقرر بنفسه، لندعه يختار، لقد أصبح راشدا، و علينا نحن الاثنين أن نعترف بأنه هو وحده صاحب الحق في أن يختار...»[1].

الحجة: ترك خلدون يأخذ القرار بنفسه (لندعه يختار)

الرابط الحجاجي: لام التعليل

النتيجة: خلدون راشد و هو وحده صاحب القرار

النموذج الثاني:

«...لكن متى تكفون على اعتبار ضعف الآخرين و أخطاءهم مجيزة لحساب ميزاتكم ؟ لقد اهترأت هذه الأقوال العتيقة، هذه المعادلات الحسابية المترعة بالأخاديع. مرة تقولون إن أخطاءنا تبرر

[1] عائد إلى حيفا، غسان كنفاني، ص48.

أخطاءكم، و مرة تقولون إن الظلم لا يصحح بظلم آخر..تستخدمون المنطق الأول لتبرير وجودكم هنا، و تستخدمون المنطق الثاني لتتجنبوا العقاب الذي تستحقونه...»[1].

الحجة 1: تبرير وجودهم في فلسطين (لتبرير وجودكم هنا)

الرابط الحجاجي: لام التعليل

النتيجة 1: زعمهم أن خطأنا يبرر خطأهم

الحجة 2: تجنبهم العقاب الذي يستحقونه (لتتجنبوا العقاب)

الرابط الحجاحي: لام التعليل

النتيجة 2: زعمهم أن الظلم لا يصحح بظلم آخر

***لأنّ**: تعدّ "لأنّ" من أهم ألفاظ التعليل، و تستعمل لتبرير الفعل.

نماذج من الرواية:

النموذج الأول:

«...شعرت بفراغ مروع حين نظرت إلى ذلك المستطيل الذي خلفته على الحائط، و قد بكت زوجتي، و أصيب طفليه بذهول أدهشني، لقد ندمت لأنّني سمحت لك باسترداد الصورة...»[2].

- من خلال هذا النموذج كانت النتيجة متصدرة في السياق، و هي شعور الرجل بالفراغ و بكاء زوجته و ذهول طفلاه، أما الحجة فكانت في نهاية السياق و هي استرداد الصورة من

[1] نفسه، ص75.
[2] نفسه، ص59 .

قِبَل "فارس"، حيث كانت (لأن) هي الرابط الحجاجي،كل هذا عبر به الكاتب عن أهمية الصورة وما تعنيه بالنسبة إليهم.

النموذج الثاني:

«...لا حاجة لتصف لي شعورك فيما بعد، فقد تكون معركتك الأولى مع فدائي اسمه خالد، و خالد هو ابني، أرجو أن تلاحظ أنني لم أقل انه أخوك، فالإنسان كما قلت قضية، و في الأسبوع الماضي التحق خالد بالفدائيين...أتعرف لماذا أسميناه خالد و لم نسمه خلدون ؟ لأننا كنّا نتوقع العثور عليك و لو بعد عشرين سنة...»[1].

- في هذا النموذج سبقت النتيجة الحجة، و جاءت على شكل سؤال استفهامي تمثل في (أتعرف لماذا أسميناه خالد و لم نسمه خلدون ؟)، فالرابط الحجاجي (لأن) غالبا ما تسبق فيه النتيجة الحجة، و كانت الحجة اعتقادهما ولو بالحلم أنهما يمكن أن يستعيدا "خلدون" يوماً ما، فهما لم يفقدا الأمل في إيجاده.

***كي الناصبة:** و هي حرف مصدري، و نصب و استقبال يفيد التعليل.

نماذج من الرواية:

النموذج الأول:

«...فسألها بحنو :

"صفية"...بماذا تفكرين ؟

[1] نفسه ، ص69 .

و هزت رأسها موافقة دون أن تقول شيئا، فقد عرفت أنه يعرف، و ربما كان هو الآخر يفكر طوال الوقت بذلك و ينتظرها أن تبادئ كي لا تشعر بأنها –كما كانت تشعر دائما– هي التي ارتكبت تلك الفجيعة التي شجرت في قلبيهما معا...»[1].

- كان انتظار سعيد لمبادرة "صفية" مراعاة لشعورها، و عدم تحسيسها أنها هي السبب في ارتكاب تلك الفجيعة، و هي نسيان "خلدون" وحده في البيت بسبب الذهول الذي أصابها. فاستعمل الكاتب الأداة "كي" حيث فصل بها بين الحجة و هي انتظار سعيد، و النتيجة التي تتمثل في أن لا تشعر "صفية" بالذنب.

النموذج الثاني:

«...اسمع يا سيد سعيد. أريد أن أقول لك شيئا مهما و لذلك أردتك أن تنتظر "دوف"، أو "خلدون" إن شئت، كي تتحدثا. و كي ينتهي الأمر كما تريد له الطبيعة أن ينتهي...» [2].

- فالانتظار هنا كان حجة لحديث "سعيد" مع "خلدون"، فقد استعمل الكاتب "كي" كأداة لتعليل انتظار سعيد، فقد أرادت "ميريام" للموضوع أن ينتهي .

–الأفعال اللغوية:

***الاستفهام** : يعد الاستفهام من أنجع أنواع الأفعال اللغوية حجاجا، و هو ما يتوسل به الكثير في فعلهم إذ « أن طرح السؤال يمكن أن يضخم الاختلاف حول موضوع ما إذا كان المخاطب لا يشاطر المتكلم الإقرار بجواب ما، كما يمكن أن يلطف السؤال ما بين الطرفين من اختلاف إذا كان المخاطب يميل إلى الإقرار بجواب غير جواب المتكلم »[3].

[1] نفسه، ص22.

[2] نفسه، ص48.

[3] استراتيجيات الخطاب –مقاربة تداولية–، عبد الهادي بن ظافر الشهري،ص483-484.

نماذج من الرواية:

النموذج الأول:

«...قبل أسبوع قالت له "صفية"، و هما في منزلهما في رام الله:

إنهم يذهبون إلى كل مكان، ألا نذهب إلى حيفا ؟.

و كان عندها يتناول عشاءه، و رأى يده تقف تلقائيا بين الصحن و فمه. و نظر نحوها بعد برهة فراها تستدير، كي لا يقرأ شيئا في عينيها، ثم قال لها :

نذهب إلى حيفا...لماذا ؟

و جاء صوتها خافتا :

نرى بيتنا هناك. فقط نراه. »[1].

- أسئلة "صفية" و "سعيد" تحمل في طياتها الكثير من التسليم بالواقع المر، وخوفاً كبيراً من أن الذهاب إلى هناك الآن غير مفيد أبداً، وتابعت رجاءها وهو كان يعلم أنها تريد شيئاً آخر وليس رؤية البيت وحسب فسألها ، وعرفت هي أن ذات التفكير يراوده، لكنه لا يجرؤ على مصارحة نفسه بذلك.

[1] عائد إلى حيفا، غسان كنفاني، ص21-22.

النموذج الثاني:

«...أي خلدون يا صفية ؟ أي خلدون ؟ أي لحم و دم تتحدثين عنهما ؟ و أنت تقولين إنه خيار عادل ! لقد علموه عشرين سنة كيف يكون. يوما يوما، ساعة ساعة، مع الأكل و الشرب و الفراش..ثم تقولين : خيار عادل...»[1] .

- جاءت أسئلة "سعيد" (أي خلدون يا صفية ؟ أي خلدون ؟ أي لحم و دم تتحدثين عنهما ؟) كحجج يرد بها على "صفية" عندما قالت انه خيار عادل، قاصدا بها أن خلدون لا يعرفهم أبدا، و انه لن يستجيب لنداء اللحم و الدم، مدّعما "سعيد" حججه بقوله: لقد علموه عشرين سنة كيف يكون. يوما يوما، ساعة ساعة، مع الأكل و الشرب و الفراش.

النموذج الثالث:

«...تعال يا "دوف"، يوجد ضيوف يرغبون برؤيتك .

و انفتح الباب بشيء من البطء، و لأول وهلة لم يصدق، فقد كان الضوء عند الباب باهتا، و لكن الرجل الطويل القامة خطا إلى الأمام، كان يلبس بزة عسكرية، و يحمل قبعة بيده.

و قفز "سعيد" واقفا كأن تيارا كهربائيا قذفه عن المقعد، و نظر نحو "ميريام" و هو يقول بصوت متوتر:

هذه هي المفاجأة ؟ أهذه هي المفاجأة التي أردت منا انتظارها ؟

و استدارت "صفية" نحو النافذة، تخفي وجهها براحتيها و تنشج بصوت مسموع...»[2].

[1] نفسه، ص49.

[2] نفسه، ص62-63 .

- جاء سؤال "سعيد" احتجاجا على صدمته عندما رأى ابنه بالزي العسكري الصهيوني وسط الأسرة اليهودية التي احتلت منزله وتبنت هذا الطفل الفلسطيني، و مستغربا من كيف يصبح ابن الأرض يقاتل مع محتل الأرض، و عندها تيقن أنّه أصبح يحارب في قوات الاحتلال.

النموذج الثالث:

«...بعد أن عرفت أنكما عربيان كنت دائما أتساءل بيني و بين نفسي: كيف يستطيع الأب و الأم أن يتركا ابنهما و هو في الشهر الخامس و يهربان ؟ و كيف يستطيع من هو ليس أمه و ليس أباه أن يحتضناه و يربياه عشرين سنة ؟ عشرين سنة ؟ ...»[1].

- تعتبر الأسئلة التي طرحها "خلدون" حجج ضد والديه الأصليين، قاصدا بها أنهم تخلو عنه و تركوه للغرباء يربونه؛ فهو لا يعرف من حياته غير أمه "ميريام" اليهودية؛ هي والوسط الذي عاش فيه.

النموذج الرابع:

«...انه يتساءل كيف يترك الأب و الأم ابنهما الرضيع في السرير و يهربان...أنت يا سيدتي لم تقولي له الحقيقة، و حين رويتها له كان الوقت قد مضى، أنحن الذين تركناه ؟ أنحن الذين قتلنا ذلك الطفل قرب كنيسة بيت لحم في الهادار ؟ الطفل الذي كانت جثته، كما قلت لنا، أول شيء صدمك في هذا العالم الذي يسحق العدل بحقارة كل يوم...»[2].

- كانت أسئلة "سعيد" مضمرة، كما أنها كانت بمثابة حجج يبين بها السبب وراء تركهم لابنهم، حيث اضطرّت إلى النزوح مع آلاف الأسر عن مدينة حيفا بعد غزوها من قبل الصهاينة، فسبب قتل الطفل قرب الكنيسة، هو نفسه سبب تركهم لابنهم ألا و هو الاحتلال.

[1] نفسه، ص68.
[2] نفسه، ص70.

النموذج الخامس:

«...دعنا نتصور أنك استقبلتنا –كما حلمنا وهما عشرين سنة– بالعناق و القبل و الدموع...أكان ذلك قد غير شيئا ؟ إذا قبلتنا أنت، فهل نقبلك نحن ؟ ليكن اسمك "خلدون" أو "دوف" أو "إسماعيل" أو أي شيء آخر...فما الذي يتغير ؟ و مع ذلك فأنا لا اشعر بالاحتقار إزاءك، و الذنب ليس ذنبك وحدك، ربما سيبدأ الذنب من هذه اللحظة ليصبح مصيرك، و لكن قبل ذلك ماذا ؟ أليس الإنسان هو ما يحقن فيه ساعة وراء ساعة و يوما وراء يوما و سنة وراء سنة ؟ إذا كنت نادما على شيء فهو أنني اعتقدت عكس ذلك طوال عشرين سنة !...»[1] .

- جاءت أسئلة "سعيد" كحجج يوضح بها لـ "خلدون" أنهم لن يقبلوه، ليس بسبب تغير اسمه إلى "دوف"؛ فتغير اسمه لن يغير واقعه الحالي، و لكن بسبب العقيدة الصهيونية التي تشرّبها و ما حُقن فيه طوال عشرين سنة، و دليل ذلك قوله : أليس الإنسان هو ما يحقن فيه ساعة وراء ساعة و يوما وراء يوما و سنة وراء سنة ؟ أي أنهم لن يتقبلوا ما حُقن فيه و ليس هو شخصيا.

النموذج السادس:

«...لقد مضت عشرون سنة يا سيدي ! عشرون سنة ! ماذا فعلت خلالها كي تسترد ابنك؟ لو كنت مكانك لحملت السلاح من أجل هذا. أيوجد سبب أكثر قوة ؟...»[2].

– كانت أسئلة "خلدون" عبارة عن حجج يرد بها على والده، و كان مضمونها أن والداه الأصليين لم يحاولوا استرجاعه، و انه لا يوجد سبب أكبر من ابنهم كي يحاربوا من أجله، و مع ذلك لم يفعلوا شيئا، حسبه.

[1] نفسه، ص71.
[2] نفسه، ص74.

***النفي**: و هو « أسلوب نقض و إنكار؛ يستخدم لدفع ما يتردد في ذهن المخاطب، فينبغي إرسال النفي مطابقا لما يلاحظه المتكلم من أحاسيس ساورت ذهن المخاطب خطأ، مما اقتضاه أن يسعى لإزالة ذلك بأسلوب النفي ».[1]

نماذج من الرواية:

النموذج الأول:

«...كانت حيفا مدينة لا تتوقع شيئا، رغم أنها كانت محكومة بتوتر غامض...»[2].

- فالنفي هنا كان حجة على أن حيفا مدينة آمنة، على الرغم من التوتر الذي يحكمها .

النموذج الثاني:

«... أريد أن أقدم لك والديك...والديك الأصليين.

و خطا الشاب الطويل القامة خطوة بطيئة إلى الأمام، و تغيّر لونه فجأة و بدا أنه فقد ثقته بنفسه دفعة واحدة. ثم نظر إلى بزته و عاد ينظر إلى "سعيد"، الذي كان واقفا ما يزال إمامه يحدق إليه. و أخيرا قال الشاب بصوت خفيض :

أنا لا أعرف أما غيرك، أما أبي فقد قتل في سيناء قبل 11 سنة و لا أعرف غيركما...»[3]

- جاء النفي هنا باستعمال "لام النافية"، كحجة توضح نُكران "خلدون" لوالديه الأصليين، فهو كعربي ومولود من أب وأم فلسطينيين لا يعنيه البتة، فهو صهيوني تربى على أيدي الصهاينة، و يعترف بمربيته و زوجها فقط.

[1] في النحو العربي-نقد و توجيه- ، مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت-لبنان، ط2، 1406هـ/1986م، ص246.

[2] عائد إلى حيفا، غسان كنفاني، ص11.

[3] نفسه، ص63.

النموذج الثالث:

«...إنني في قوات الاحتياط الآن، لم يقدر لي خوض معركة مباشرة إلى الآن لأصف لك شعوري، و لكن ربما في المستقبل استطيع أن أؤكد لك مجددا ما سأقوله الآن : إنني انتمي إلى هنا، و هذه السيدة هي أمي، و أنتما لا أعرفكما و لا أشعر إزاءكما بأي شعور خاص...»[1].

- ورد النفي هنا كدليل يبرر به "خلدون" عدم انتماءه لوالديه الأصليين، فهو لا يعترف بـ "سعيد" أبا له ولا بـ "صفية" أما، إنهما الزمن الغائب من الذاكرة لم يعد بينه وبينهما أي اتصال حتى في رابطة الدم. و أن أصله يهودي و ليس عربيا.

***الأمر**: يعد الأمر من الأفعال الإنجازية، لأنه يهدف إلى توجيه المتلقي إلى سلوك معين.

و نجد هذا واضح في النماذج التالية من الرواية :

النموذج الأول:

«...اسمع يا سيد سعيد. أريد أن أقول لك شيئا مهما و لذلك أردتك أن تنتظر "دوف"...»[2].

- جاء الأمر هنا تعليلا على أن "ميريام" مدركة أنّها في موقع القوة، وهو في موقع الضعف، فبعدما كان "سعيد" صاحب البيت، أصبح ضيفًا عند تلك المرأة التي استقبلتهم في بيتهم.

[1] نفسه، ص68.
[2] نفسه، ص48.

النموذج الثاني:

«... قال الرجل لفارس :

ادخل. اجلس في الداخل. دعنا نتحدث قليلا. لقد انتظرناكم طويلا، و كنا نريد أن نراكم في مناسبة غير هذه...»[1].

– تعددت الأوامر في هذا النموذج، فقد ورت كحجج تعلل ترحيب الرجل بـ "فارس" لأنه يعرف أنه فلسطيني، كما عرف أنّه هو أخو صاحب الصورة التي استأجر بسببها البيت، فقد دعاه لدخول و الجلوس و الحديث

***الوصل السببي:** و هو أن يعمد المرسل إلى الربط بين أحداث متتابعة، مثل الربط بما يمكن أن يكون المقدمة و النتيجة، فتصبح النتيجة مقدمة لنتيجة أخرى.[2] و قد يرد هذا الأخير في التراكيب الشرطيّة الظاهرة، و ذلك ادعى لتوليد حجج جديدة ذات صلة بالحجة الأولى.[3]

نموذج من الرواية:

«كان عليكم ألاّ تخرجوا من حيفا، و إذا لم يكن ذلك ممكنا فقد كان عليكم بأي ثمن ألا تتركوا طفلا رضيعا في السرير، و إذا كان هذا أيضا مستحيلا فقد كان عليكم ألا تكفوا عن محاولة العودة... ».[4]

– في هذا الوصل السببي بدا "خلدون" مستغربا من تصرف ولداه، و وضّح استغرابه منهم بأنه إذا كان خروجهم من حيفا لابد منه؛ كان عليهم ألا يتركوا ابنهم، و إذا كان ذلك مستحيلا؛ كان

[1] نفسه، ص56.

[2] استراتيجيات الخطاب –مقاربة تداولية–، عبد الهادي بن ظافر الشهري، 480.

[3] نقسه، ص ن.

[4] عائد إلى حيفا، غسان كنفاني، ص73-74.

عليهم أن يحملوا السلاح و يحاربوا من أجله، و الغرض الحجاجي من هذا الوصل السببي تجريد المخاطَب من الحجة، و إفقاده حق المطالبة بأي شيء يريده.

***الصفة:** تعدّ الصفة من الأدوات التي تمثل حجة للمرسل في خطابه، و ذلك بإطلاقه لنعت معيّن في سبيل إقناع المرسل إليه.[1]

نماذج من الرواية:

«...و انتابه فجأة قلق غامض...»[2].

«...لقد مضت اللحظات بطيئة و قاسية، و تبدو الآن مجرد كابوس ثقيل لا يصدق...»[3]

«...كان وجهها مشدودا أميل إلى الاصفرار، و كانت عيناها تتدفقان بالدموع...» [4]

«...راودها خوف يائس...» .

«...ظلت شهورا بعد ذلك تحمل في فمها صوتا مبحوحا مجروحا...» [5]

«...فوضع أصابعه تحت ذقنها فإذا بعينيها تنضحان بدموع غزيرة ...»[6].

– استعمل الكاتب الصفات كحجج يبرر بها وضع الشعب الفلسطيني قبل و بعد العودة إلى حيفا، فقد كانت اغلب النعوت التي وظّفها تدل على الحزن و الأسى و القسوة، و هذا كله يختصر الواقع الفلسطيني. فالكاتب اعتمد على الصفات في بناء حججه لأنها السبيل إلى إقناع المخَاطب، إذ أن اختيارها يبدي وجهة نظره و موقفه من الموضوع.

[1] استراتيجيات الخطاب–مقاربة تداولية–، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص486.
[2] عائد إلى حيفا، غسان كنفاني، ص13.
[3] نفسه، ص15.
[4] نفسه، ص16 .
[5] نفسه، ص18 .
[6] نفسه ، ص 22 .

***اسم الفاعل**: يعتبر اسم الفاعل من نماذج الوصف التي يدرجها المرسل في خطابه بوصفها حجّة ليسوّغ لنفسه إصدار الحكم الذي يريد، لتنبني عليه النتيجة التي يرومها. و ذلك انطلاقا من تعريفه بأنه: « اسم مشتق، يدل على معنى مجرد، حادث، و على فاعله. فلا بد أن يشتمل على أمرين معا؛ هما: المعنى المجرد الحادث، و فاعله و دلالة اسم الفاعل على المعنى المجرد الحادث أغلبيّة، لأنه قد يدل – قليلا– على المعنى الدائم أو شبه الدائم...و دلالته على المعنى المجرد مطلقة، أي لا تفيد النص على أن المعنى قليل أو كثير فصيغته الأساسية محتملة لكل واحد منهما.»[1]

نماذج من الرواية:

«...و لكنه تماسك، و سألها بصوت خافت : حسنا، من أين نبدأ ؟...»[2].

«...و بمدى ما هو غارق في تجاعيد وجهها و عينيها و عقلها...»[3].

«...و عندها جاء الماضي الراعب بكل ضجيجه...»[4].

«...كان قد ظل حتى الظهر غير متوقع أن يكون ذلك هو الهجوم الشامل...»

«...شعر أنه ضائع...».

«...كان العرق يتصبّب باردا على جبين سعيد و هو يقود سيارته صاعدا المنحدر...»[5].

«...و حاول أن يعدها و هو جالس في مكانه...»[6].

[1] استراتيجيات الخطاب –مقاربة تداولية–، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص488.
[2] عائد إلى حيفا، غسان كنفاني، ص09.
[3] نفسه، ص10.
[4] نفسه، ص11.
[5] نفسه، ص16.
[6] نفسه، ص30.

– و قد كان الغرض الحجاجي من مجمل هذه الأوصاف (أسماء الفاعلين) تمثيل المأساة التي يعيشها الفلسطينيون.

***اسم المفعول** : و يصنّف اسم المفعول على انه من الأوصاف الحجاجية المستعملة، و هو « اسم مشتق، يدل على معنى مجرّد، غير دائم، و على الذي وقع عليه هذا المعنى، فلا بد أن يدل على الأمرين معا . »[1]

نماذج من الرواية:

«...كان استعجالها لرؤيته قادما تختصر خوفها عليه و قلقه من المصير المجهول...»[2].

«...و فجأة أخذت "صفية" تبكي بصوت مسموع...»[3].

«...و قرقع مزلاج الباب بصوت مكتوم ...»[4].

«...و ارتد "سعيد" إلى الوراء، مدهوشا مطعونا...»[5].

– وردت صيغ اسم الفاعل على وزن (فاعل)، و صيغ اسم المفعول على وزن (مفعول)، كأوصاف حجاجية استعملها الكاتب ليعلل بها حال الشعب الفلسطيني و المأساة التي عاناها من بطش العدو.

***تحصيل الحاصل** : يمثل هذا الضرب بعض التنوعات الحجاجية و الصور الخطابية، فمن التنوعات الحجاجية التي تمثل هذا الضرب الخطابي ما يسمى بالتمثيل، و يتجسد من خلال تعدد التعاريف رغم وحدة المعرّف[6].

[1] استراتيجيات الخطاب –مقاربة تداولية–، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص489.
[2] عائد إلى حيفا، غسان كنفاني، ص17.
[3] نفسه، ص27.
[4] نفسه، ص28.
[5] نفسه، ص74.
[6] استراتيجيات الخطاب–مقاربة تداولية– ، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص489–490.

نماذج من الرواية:

«...إن "خلدون"، أو "دوف"، أو الشيطان إن شئت، لا يعرفنا ! أتريدين رأيي ؟ لنخرج من هنا و لنعد إلى الماضي. انتهى الأمر. سرقوه...»[1]

- سمّى "سعيد" في هذا النموذج ابنه بثلاثة أسماء، حجة من الكاتب بأن "سعيد" عندما قال "خلدون" مازال يراه ابنه، و عندما قال "دوف" تذكر أنه مسروق و ربته عائلة أخرى، و بعد تأكده بأنه حُقن بمبادئ اليهود و أصبح مثلهم سماه بالشيطان.

و من مظاهره أيضا، تكرار العبارة نفسها، و يحدث هذا في النقاشات لإثارة الاستغراب.

نماذج من الرواية:

«...و كيف يستطيع من هو ليس أمه و ليس أباه أن يحتضناه و يربياه عشرين سنة ؟ عشرين سنة ؟ أتريد أن تقول شيئا يا سيدي ؟»[2].

«...لقد مضت عشرون سنة يا سيدي ! عشرون سنة ! ماذا فعلت خلالها كي تسترد ابنك ؟ لو كنت مكانك لحملت السلاح من أجل هذا...»[3]

- فتكرار عبارة (عشرين سنة) في النموذجين، لم يكن تكرار لفظي، بل هو تكرار يقوي الحجة في كل مرة يُتلفظ بها، و لكن الحجة ليست في اللفظ بل في الأثر الذي تتركه و هو الاستغراب من طول المدة دون فعل أي شيء –حسب "خلدون"–.

[1] عائد الى حيفا، غسان كنفاني، ص49.
[2] نفسه، ص68.
[3] نفسه، ص74.

ثانيا: الآليات البلاغية:

1-تقسيم الكل إلى أجزائه: أو ما يسمى بالتفريع، و هو أن يقوم المرسل بطرح قضية أو عرض أطروحة، ثم يتوسع فيها بعرض مجموعة من الحجج، و كل حجة من هذه الحجج تخدم هذه القضية أو الأطروحة.

نماذج من الرواية:

النموذج الأول:

«...لقد مضت اللحظات بطيئة و قاسية و تبدو الآن مجرد كابوس ثقيل لا يصدق. اجتاز البوابة الحديدية للميناء حيث كان جنود بريطانيون يزجرون الناس، و من هنا رأى أكوام البشر تتساقط فوق الزوارق الصغيرة المنتظرة في الماء قرب الرصيف...»[1].

- القضية في هذا النموذج هي اللحظات البطيئة و القاسية التي بدت مثل كابوس ثقيل، و حجج هذه القضية تتمثل في اجتياز البوابة الحديدة، و أكوام البشر التي تملأ الزوارق،

النموذج الثاني:

«...أوهام يا "صفية" أوهام ! لا تتركي لنفسك أن تخدعك على هذه الصورة المحزنة. أنت تعرفين كم سألنا و كم حققنا، و تعرفين قصص الصليب الأحمر، و رجال الهدنة، و الأصدقاء الأجانب الذين بعثناهم إلى هناك...»[2].

- كان التحقيق هو القضية المطروحة في هذا النموذج، لتأتي بعده حجج تخدم هذه النتيجة و هي قصص الصليب الأحمر، رجال الهدنة و الأصدقاء الأجانب الذين بعثوهم إلى هناك.

[1] نفسه، ص15.
[2] نفسه، ص23.

2-الاستعارة: «إن الاستعارة الحجاجية تدخل ضمن الوسائل اللغوية التي يستغلها المتكلم بقصد توجيه خطابه، و بقصد تحقيق أهدافه الحجاجية، و الاستعارة الحجاجية هي النوع الأكثر انتشارا لارتباطها بمقاصد المتكلمين و بسياقاتهم التخاطبية و التواصلية.»[1].

نماذج من الرواية:

«...شعر بالأسى يتسلقه من الداخل...»[2].

- شبّه الأسى بالشيء الذي يتسلق، و حذف المشبه به و رمز له بشيء من لوازمه و هو التسلق، ثم أضيف لازم المشبه به للمشبه الأسى على سبيل الاستعارة المكنية.

«...كان الناس يتدفقون من الشوارع الفرعية، نحو ذلك الشارع الرئيسي المتجه إلى الميناء...»[3].

- شبّه الناس بالماء و حذف المشبه به و أبقى على شيء من لوازمه و هو التدفق، على سبيل الاستعارة المكنية.

«...إذ بدأت النار تنهمر بغزارة بدءا من الظهر...»[4].

- شبه النار بالأمطار و حذف المشبه به، و ترك الفعل (تنهمر) و هو لازم من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية.

«...اغتصب ابتسامة غبية...»[5].

[1] اللغة و الحجاج، أبو بكر العزاوي، ص108.
[2] عائد إلى حيفا، غسان كنفاني، ص05.
[3] نفسه، ص 14.
[4] نفسه، ص17.
[5] نفسه، ص28.

- بها استعارتان: الأولى (اغتصب ابتسامة) و نوعها مكنية، و توحي بتصنع الابتسامة و عدم نقاءها، و الثانية: (ابتسامة غبية) و نوعها مكنية، تكمن حجاجيتها في سر جمال التشخيص و توحي بعدم إعجاب الناس بها و إدراكهم أنها مزيفة، و الغرض الحجاجي من هذه الاستعارات تصوير المشاهد بتفاعلاتها الحياتية المؤلمة.

3-التمثيل: يعد التمثيل من الأساليب البيانية التي تُستعمل لتقريب المعاني المجردة إلى ذهن السامع و توضيحها، و إزاحة ستار الإبهام عنها في الرد على الخصوم و تفنيد حججهم.

«...كلا لم تعد إليه الذاكرة شيئا فشيئا. بل انهالت، في داخل رأسه، كما يتساقط جدار من الحجارة و يتراكم بعضه فوق بعض...»[1].

- مثّل الكاتب الأفكار التي استرجعها "سعيد" بالجدار المتساقط من الحجارة، و ذلك لقسوة الذكريات و ما تحمله من مآسي و وجع.

«...فطوال عشرين سنة تجنب الحديث عن ذلك، عشرين سنة، ثم ينبثق الماضي كما يندفع البركان...»[2].

- اندفاع البركان جعله الكاتب مثالا للماضي الذي انبثق بعد عشرين سنة، حيث مثّل الماضي بالبركان لأن ماضيه كان كله مآسي و أحزان.

«...استدار وسط الزحام، و اخذ يدافع محاولا بكل ما فيه من قوة مستنزفة أن يشق طريقه وسطه، عكسه، نحو البوابة الحديدية. مثل من يسبح ضد سيل هادر ينحدر من جبل شديد العلو اخذ "سعيد" يشق طريقه بكتفيه و ذراعيه و رأسه...»[3].

[1] نفسه، ص05.
[2] نفسه، ص09.
[3] نفسه، ص15.

- مثّل الكاتب محاولة "سعيد" لشق طريقه وسط الزحام نحو البوابة الحديدية، بالسابح ضد سيل هادر، تعليلا على حال الناس أثناء الهجرة القسرية التي أُجبروا عليها من طرف العدو.

«...و فجأت رأت نفسها في موج الناس، يدفعونها، و هم يندفعون من شتى أرجاء المدينة، في سيلهم العرم الجبار الذي لا يمكن رده، كأنها محمولة على نهر متدفق مثل عود من القش...»[1].

- مثّل الكاتب حالة "صفية" بعود القش فوق النهر عندما كانت وسط أمواج الناس أثناء اندفاعهم في شتى أرجاء المدينة، لكي يوضح لنا حال الناس أثناء تهجيرهم من حيفا من قبل العدو.

«...و تذكر الآن بالضبط أنه هناك، و هناك فقط، سقطت عليه الذاكرة كما لو أنه ضرب بحجر، و هناك بالضبط تذكر "خلدون" و انقبض قلبه يومها...»[2].

- بسبب قساوة الذكريات التي سقطت على "سعيد"، مثّلها الكاتب بضرب الحجر، فقد كانت ذكرياته تحمل في طياتها الكثير من المأساة لحظات الفرار من بطش العدو، وصير ابنه المجهول، و بيته الذي تركه، و أرضه التي اغتصبها الاحتلال.

«...و هكذا جعل الأمر، لنفسه و لزوجته، يبدو طبيعيا للغاية، كما لو أن العشرين سنة الماضية وضعت بين مكبسين جبارين و سحقت حتى صارت ورقة شفافة لا تكاد ترى...»[3].

- هذا التمثيل بيّن لنا حال "سعيد" عند وصوله إلى بيته، فقد سيطر على نفسه لكي يبدو طبيعيا أمام زوجته.

[1] نفسه، ص17.
[2] نفسه، ص26.
[3] نفسه، ص27.

«...و كانت لغتها الانكليزية بطيئة،و ذات لكنه اقرب إلى الألمانية، و تبدو، إذ تتلفظ بها، كما لو أنها تنتشل كلماتها من بئر غبار سحيقة الغور...»[1].

- هذا التمثيل الذي أورده الكاتب كان دليلا على صعوبة ما ستقوله "ميريام" عند لقاءها مع "سعيد" و زوجته، لأن ما ستقوله لن يكون وقعه سهلا على "سعيد" و "صفية".
- «...و خيم صمت مفاجئ، فيما ارتفع صوت"صفية" بالنشيج و كأنه صادر من مقاعد متفرج هش التأثر...»[2].
- مثّل الكاتب نشيج"صفية"، بنشيج صادر من مقاعد متفرج هش التأثر، تعليلا من الكاتب على أن "صفية" و بسبب المأساة و الحزن أصبحت سهلة التأثر.

4-التشبيه: يعتبر التشبيه من الآليات البلاغية التي يوظفها المرسل للإشارة إلى مقاصد متضمنة في خطابه، و يعدّ تمكنه من استعماله بما يلاءم السياق من إحدى مهاراته التداولية، مع العلم أم الأصل الأول من علم البيان هو التشبيه، فهو الذي إذا مهرت فيه ملكت زمام التدرب في فنون السحر البياني.[3]

نماذج من الرواية:

«...سمع صوتها الخافت يبكي بما يشبه الصمت...»[4].

- شبّه الكاتب في هذا النموذج صوت بكاء "صفية" بالصمت، لأنه يريد توضيح ما تعانيه "صفية"، من عذاب الذي ظل معها عشرين سنة.

[1] نفسه، ص31.
[2] نفسه، ص65.
[3] مفتاح العلوم، أبو يعقوب السكاكي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ص141.
[4] عائد إلى حيفا، غسان كنفاني، ص9.

«...و فجأة جاء الماضي حادا مثل السكين..»[1].

- حيث شبه الماضي بالسكين في الحدة، فأشركهما في نفس الصفة.

«...كانت السماء نارا تتدفق بأصوات رصاص و قنابل و قصف بعيد و قريب...»[2].

- يوجد في هذا النموذج صورتين بيانيتين: الأول شبه فيه السماء بالنار و هو تشبيه بليغ حيث حذف الأداة و وجه الشبه، و الثاني استعارة مكنية حيث شبه النار بالماء و ترك احد لوازمه و هو التدفق.

«...و اكتسحها حزن يشبه الطعنة التي ملأتها بطاقة من العزم لا حدود لها...»[3].

- هذا النموذج هو تشبيه مجمل، حيث حُذف وجه الشبه، فالكاتب؛ و لحدّة الحزن و شدته شبهه بالطعنة التي ملأتها بطاقة من العزم لا حدود لها.

«...حين فتح رجل من الهاغاناة، معه رجل عجوز له وجه يشبه الدجاجة، باب منزل "سعيد.س" في الحليصة، و وسع الطريق أمام "افرات كوشن" و زوجته...»[4].

- شبّه الكاتب وجه الرجل العجوز بوجه الدجاجة، تعليلا منه لاحتقاره له و التقليل من شأنه.

«كيف عرفتي أنه طفل عربي ؟

الم تر كيف القوه في الشاحنة كأنه حطبة ؟ لو كان يهوديا لما فعلو ذلك ...»[5].

- تشبيه الطفل بالحطبة كان تشبيها مجملا، حيث كان دليلا على أن الطفل لا قيمة له عندهم.

[1] نفسه ، ص10.
[2] نفسه ، ص14.
[3] نفسه، ص18.
[4] نفسه، ص37.
[5] نفسه، ص43.

«...و عاد الشاب فوقف، و اخذ يتحدث كأنه حضّر تلك الجمل منذ فترة طويلة...»[1].

- تشبيه حالة حديث بأنه حضّر الجمل من قبل، دليلا على اقتناع "خلدون" بما يقوله.

«...و كان مايزال ينظر إلى "دوف" حيث قام هذا الآخر فجأة و وقف أمام "سعيد" منتصبا كأنه يتصدر طابورا من الجنود المختبئين...»[2].

- شبّه الكاتب وقوف "دوف" أمام "سعيد" بأنه متصدر لطابور من الجنود، حيث ورد التشبيه هنا تام العناصر.

«...و بدت ريشات الطاووس المطلة وراءه كأنها تشكل ذيلا لديك كبير خاكي اللون..»[3].

- أراد الكاتب في هذا التشبيه ان يوصل لنا فكرة مفادها أن "سعيد" بعد لقاءه مع "خلدون" و اكتشاف حقيقة انه أصبح يهودي، أن يسخر منه بهذا التشبه، مستعملا ريشات الطاووس التي كانت سببا في معرفتهم انه حي و موجود.

5-الكناية:

نماذج من الرواية:

«... لم يلتزم طوال عمره بموعد لعودته إلى البيت، إنه مثل أبيه تماما..كان..و صمتت و هي تعض قليلا على شفتها و تنظر نحو "سعيد" الذي أحس ببدنه يرتجف للحظة و كأن تيارا كهربائيا مسه...»[4].

[1] نفسه، ص67.
[2] نفسه، ص73.
[3] نفسه، ص75.
[4] نفسه، ص47.

- تعددت الكنايات في هذا النموذج: (لم يلتزم طوال عمره بموعد لعودته إلى البيت) كناية على إهمال "خلدون"، (تعض قليلا على شفتها) كناية على ارتباك "ميريام" و خوفها عندما شبهت "خلدون" بزوجها أمام "سعيد"، (أحس ببدنه يرتجف) كناية على قلق "سعيد" و غيضه من تشبيه "ميريام".

«...فرآها محتارة تنقب زوايا الغرفة و كأنها تعد الأشياء التي تفتقدها...»[1].

- في هذا النموذج الكناية جاءت دلالة على حيرة "صفية".

ثالثا: الآليات الشبه منطقية:

1-السلم الحجاجي و وسائله:

السلم الحجاجي: كما رأيناه سابقا، يقوم على ترتيب الحجج عموديا، من الحجة الضعيفة إلى الحجة القوية، في فئة حجاجية واحدة، كما يكون كل قول في السلم دليلا على مدلول معين.

نماذج من الرواية:

النموذج الأول:

«...هل تعرفين من نحن ؟

و هزت رأسها بالإيجاب عدة مرات لتزيد الأمر تأكيدا، و فكرت قليلا كي تنتقي كلماتها، ثم قالت ببطء:

أنتما أصحاب هذا البيت، و أنا اعرف ذلك.

كيف تعرفين ؟

[1] نفسه، ص 30.

جاء السؤال من "سعيد" و "صفية" في وقت واحد.

و زادت العجوز في ابتسامتها. ثم قالت :

من كل شيء . من الصور، من الطريقة التي وقفتما بها أمام الباب. و الصحيح أنه منذ انتهت الحرب جاء الكثيرون إلى هنا و أخذوا ينظرون إلى البيوت و يدخلونها، و كنت أقول كل يوم أنكما ستأتيان لا شك...»[1].

إقتناع الزوجين من معرفة العجوز بأنهما أصحاب البيت

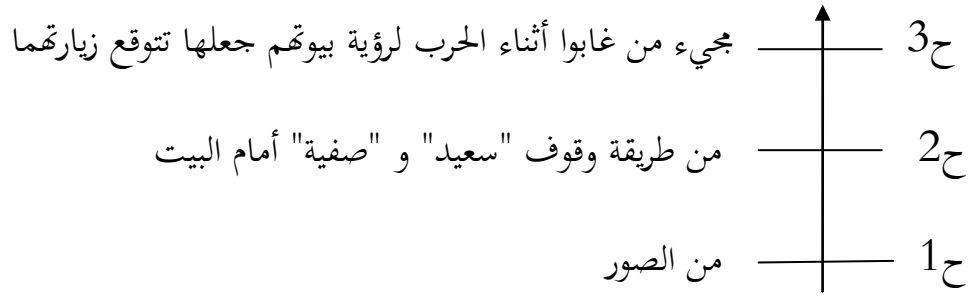

- الملاحظ من خلال هذا النموذج أنّ جواب العجوز على سؤال "سعيد" و زوجته يحمل عددا من الحجج، جاءت مرتبة ترتيبا عموديا وفق ترتيب السلم الحجاجي من الأضعف إلى الأقوى، فالصور لم تكن كافية لإقناع "سعيد" و "صفية" بأن العجوز تعرفهما، تلتها حجة أقوى منها و هي طريقة وقوفهما أمام البيت، لتأتي الحجة الأقوى في أعلى السلم و هي (و الصحيح أنه منذ انتهت الحرب جاء الكثيرون إلى هنا و أخذوا ينظرون إلى البيوت و يدخلونها، و كنت أقول كل يوم أنكما ستأتيان لا شك)، فورود الحجة مسبوقة بمؤكد زاد من درجة الحجة، و بدأتها العجوز بكلمة (و الصحيح) قبل إلقاءها زاد من درجة الإقتناع.

النموذج الثاني:

[1] عائد إلى حيفا ، غسان كنفاني ، ص31

«...على أن الأمر لم يكن كذلك بالنسبة لـ"ميريام" زوجته، إذ أنها تغيرت تماما ذلك اليوم، و جاء التغيير حين شهدت، و هي تدور قرب كنيسة بيت لحم في الهادار، شابين من الهاغاناه يحملان شيئا و يضعانه في شاحنة صغيرة كانت واقفة هناك، و استطاعت في لحظة كانخطاف البصر أن ترى ما يحملانه، فأمسكت بذراع زوجها و صاحت و هي ترتجف :

-انظر!

إلاّ أنّ زوجها، حين نظر حيث كانت تشير، لم ير شيئا. كان الشابات يمسحان كفيهما على طرفي قميصهما الخاكيين، و قالت زوجته :

-كان ذلك طفلا عربيا ميتا، و قد رأيته مكسوا بالدم.

و أخذها زوجها إلى الرصيف الآخر و سألها:

-كيف عرفتي أنه طفل عربي ؟

-ألم تر كيف القوه في الشاحنة كأنه حطبة ؟ لو كان يهوديا لما فعلو ذلك ...»[1].

*يوجد في هذا النموذج سلّمان حجاجيان :

السلم الأول:

ن= الزوج لم يقتنع بكلام زوجته

ح2 رؤية الزوج لشابين يمسحان كفيهما

ح1 الزوج لم ير شيئا

[1] نفسه، ص43 .

- عـدم اقتنـاع الـزوج بكـلام زوجتـه كـان نتيجـة لعـدة حجـج توالـت في السـلم مـن الأقـوى إلى الأضعف، فللوهلة الأولى الزوج لم ير شيئا فقد كانت الحجة الأقوى، و لكنه بعد لحظة رأى شابين يمسحان كفيهما على طرفي قميصهما، فهذه الحجة أيضا لم تكن كافية ليقتنع بصحة ما تقوله، لأنه رأى الشابين و لم ير الطفل أصلا. كل هذا ساهم في عدم اقتناع الزوج.

السلم الثاني:

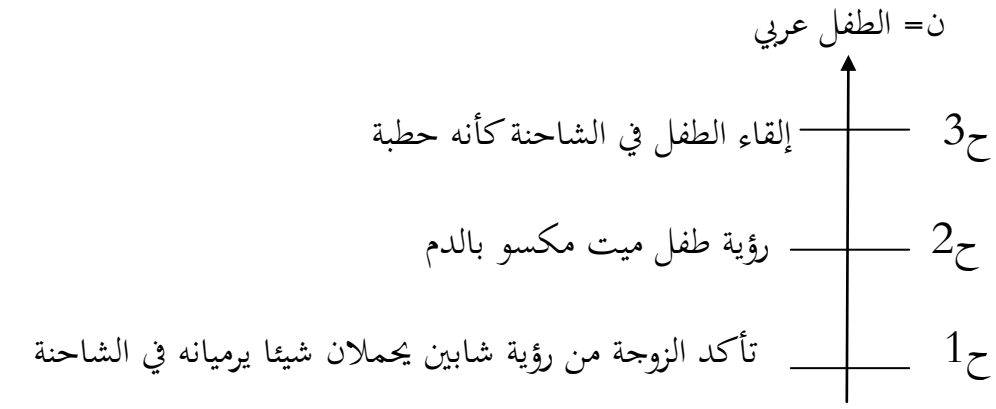

- من خلال هذا النموذج يتضح لنا أن هذه الأقوال ليست على درجة واحدة من حيث القوة و الضعف، فهي حجج تخدم نتيجة ضمنية واحدة و هي أن (الطفل عربي)، فرؤية الشابين يحملان شيئا يرميانه في الشاحنة كانت الحجة الأضعف، تلتها حجة أقوى منها و هي رؤية الطفل مكسوا بالدم، فهذه الأخيرة لم تكن كافية لإقناعنا بأنه عربي، لتأتي الحجة الأقوى في أعلى السلم و هي إلقاء الطفل في الشاحنة كأنه حطبة تثبت صحة ما توقعته "ميريام" كون الطفل عربي.

***الأدوات اللغوية: و** الأدوات اللغوية تشمل: الروابط الحجاجية مثل: (لكن ، بل ، حتى ، ...و غيرهم) و درجات التوكيد .

***الروابط الحجاجية:**

لكن: هي «حرف استدراك. و معنى الاستدراك أن ينسب حكما لاسمها، يخالف المحكوم عليه قبلها. كأنّك لما أخبرت عن الأول بخبر، خفت أن يتوهّم من الثاني ذلك، فتداركت بخبره، إن سلبا، و إن إيجابا. و لذلك لا يكون إلا بعد كلام ملفوظ به، أو مقّدر...و لا تقع لكن إلا بين متنافيين، بوجه ما...قال الزمخشريّ: لكن للاستدراك توسّطها بين كلامين متغايرين، نفيا و إيجابا. فتستدرك بها النفي بالإيجاب، و الإيجاب بالنفي...و التغاير في المعنى بمنزلته في اللفظ »[1].

نماذج من الرواية :

النموذج الأول:

«...إنني أعرفها، حيفا هذه، لكنها تنكرني...»[2].

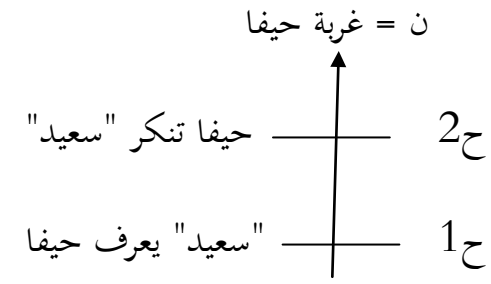

- على الرغم من معرفة "سعيد" لحيفا، إلا أنه شعر بالندم بسبب الهجرة؛ حتى و لن كانت هجرة قسرية، جعله يحس أن حيفا تنكره فقد اقتنع بعد ذلك بأنه كان عليه أن يحميها و يتشبث بها حتى لو دفع دمه مقابل ذلك، فجاءت الأداة (لكن) لتنفي معرفة "سعيد" لحيفا بإحساسه أنها تنكره.

النموذج الثاني:

[1] استراتيجيات الخطاب-مقاربة تداولية-، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص509

[2] عائد إلى حيفا، غسان كنفاني، ص07.

«...و لكنها ظلت صامتة. و سمع صوتها الخافت يبكي بما يشبه الصمت، و قدر لنفسه العذاب الذي تعانيه، و عرف انه لا يستطيع معرفة العذاب على وجه الدقة، و لكنه يعرف انه عذاب كبير...»[1].

ن ="سعيد" يعرف العذاب الذي تعانيه زوجته

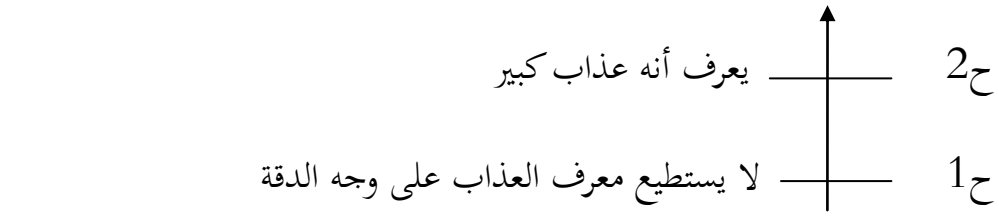

- فالكاتب هنا نفى معرفة "سعيد" للعذاب، و لم ينف معرفته درجة العذاب الذي تعانيه صفية، مستخدما الأداة (لكن) التي وقعت بعد نفي و ربطت بين قولين، فهذا الرابط هو الذي أبرز القوة الحجاجية لهذه الأطروحة، لأنه وقع بين الحجة و ضدها.

النموذج الثالث:

«...و حين عاد "ايفرات كوشن" مع "ميريام" إلى نزل المهاجرين، كانت "ميريام" قد قررت العودة إلى إيطاليا. و لكنها لم تفلح طوال تلك الليلة، و لا في الأيام القليلة التي أعقبت ذلك اليوم، في إقناع زوجها بذلك، و كانت دائما تخسر النقاش بسرعة، و لا تستطيع إيجاد الكلمات التي تعبر عن رأيها، و تشرح حقيقة دوافعها...»[2].

ن = لم تفلح الزوجة في إقناع زوجها

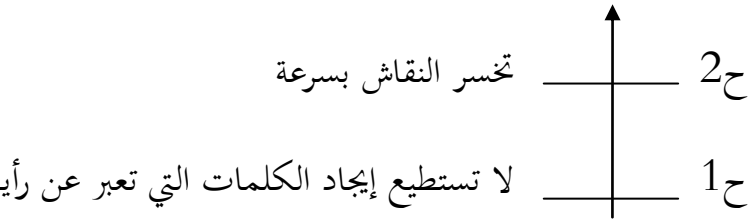

[1] نفسه، ص09-10.

[2] نفسه، ص44.

- استدرك الكاتب قرار عودة "ميريام" بالأداة (لكن)، الذي أدى إلى نتيجة منفية و هي عدم القدرة على إقناع الزوج بالعودة، فتبع النتيجة حجج مرتبة من الأقوى إلى الأضعف، فبدا الكاتب بالحجة الأقوى و هي خسارة النقاش دائما، و جاءت الحجة الأخيرة ضعيفة و منفية.

النموذج الرابع:

«...كانت غرفة الجلوس على حالها، كأنه تركها ذلك الصباح، تعبق فيها نفس الرائحة التي كانت لها، رائحة البحر التي كانت دائما تثير في رأسه دوامات من عوالم مجهولة معدة للاقتحام و التحدي، و لكن ذلك لم يكن الشيء الذي سمره في مكانه، فعلى الجدار المقابل المطلي بلون ابيض متوهج، كانت صورة أخيه "بدر" ما تزال معلقة، وحدها في الغرفة كلها، و كان الشريط الأسود العريض الذي يمتد في زاويتها اليمنى ما زال كما كان...»[1].

ن = تسمر "فارس" في مكانه

ح2 ← رؤيته لصورة أخيه معلقة على الجدار

ح1 ← بقاء غرفة الجلوس على حالها

- استدرك الكاتب الحجة الأولى التي تتمثل في بقاء الغرفة على حالها بالرابط الحجاجي (لكن)، فكانت الحجة بعدها أقوى و التي كانت السبب في تسمر "فارس" في مكانه، و هي رؤيته لصورة أخيه التي ما زالت معلّقة على الجدار منذ عشرين سنة.

بل : و هي «من الحروف الهوامل، و معناها الإضراب عن الأول، و الإيجاب لثاني »[2].

[1] نفسه، ص54.

[2] معاني الحروف، أبو حسن بن عيسى الرّماني النحوي، تح: عرفان بن سليم، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ط1، 2005م، ص71.

«و لها حالان : الأول : أن يقع بعده جملة، و الثاني : أن يقع بعده مفرد. فإن وقع بعده جملة كان إضرابا عمّا قبلها، إما على جهة الإبطال...، و إما على جهة الترك للانتقال، من غير إبطال...و إذا وقع بعد"بل" مفرد فهي حرف عطف، و معناها الإضراب. لكن حالها فيه مختلف: فان كانت بعد نفي...فهي لتقرير حكم الأول، و جعل ضدّه لما بعدها...»[1].

نماذج من الرواية:

النموذج الأول:

«...و اكتشف على التو أن ذلك الاسم، لم يلفظ قط في تلك الغرفة منذ زمن طويل، و أنهما في المرات القليلة التي تحدثا عنه كانا يقولان "هو" ، بل أنهما تجنبا تسمية أي من أولادهما الثلاثة ذلك الاسم، و إن كانا قد أطلقا على أكبرهما اسم "خالد" و على البنت التي أنجباها بعد ذلك بعام و نصف "خالدة"، بل إن أولادهما لم يعرفا قط أن لهما أخا اسمه خلدون...»[2].

ن = جهل الأبوين لمصير "خلدون" بعدما تركوه

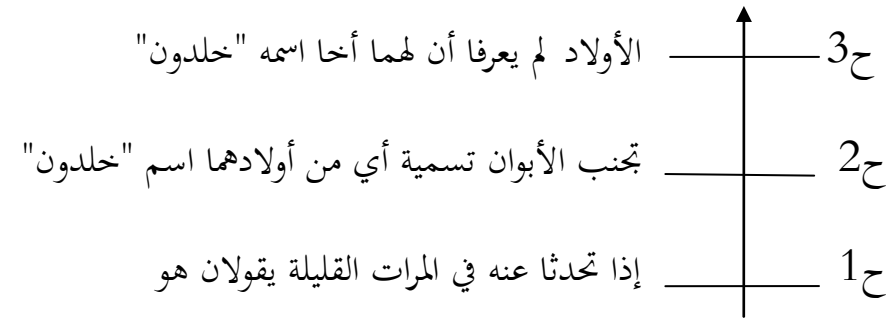

- تكمن خاصية (بل) في الانتقال من درجة دنيا في الحجاج إلى درجة عليا، و هذا النوع من الإضراب يطلق عليه النحاة اسم (الإضراب الإنتقالي) و هو «الذي يقتضي الانتقال من غرض قبل الحرف (بل) إلى غرض جديد بعده، مع إبقاء الحكم السابق على حاله، و عدم

[1] استراتيجيات الخطاب-مقاربة تداولية-، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص514-515.

[2] عائد إلى حيفا، غسان كنفاني، ص09.

إلغاء ما يقتضيه»[1]، حيث انتقل الكاتب في هذا النموذج، من قولهم "هو" إذا تحدثا عنه إلى تجنب تسمية أي من أولادهما باسم "خلدون" لأنهما ربما اعتقدا ولو بالحلم أنهما يمكن أن يستعيدا خلدون يوماً ما، لتأتي الحجة الأقوى التي انتقل إليها أيضا بالرابط الحجاجي (بل) في أعلى درجات السلم و هي أن أولادهم لا يعرفون "خلدون" أصلا.

النموذج الثاني:

«...و نهض "سعيد.س" متثاقلا. الآن فقط شعر أنه متعب، و انه هدر عمره بصورة عابثة. و ساقه هذا الشعور إلى كآبة لم يكن يتوقعها، و أحس بأنه على وشك أن يبكي، فقد كان يعرف أنه كذب، و أن خالدا لم يلتحق بالفدائيين، و في الواقع كان هو الذي منعه. بل مضى ذات يوم إلى حد تهديده بالتبرؤ منه إن هو عصا إرادته و التحق بالمقاومة...»[2].

ن = خالد لم يلتحق بالفدائيين

ح2 تهديد "سعيد" بالتبرؤ من "خالد" إذا التحق بالفدائيين

ح1 منع "سعيد" "خالد" من الالتحاق بالفدائيين

- استعمل الكاتب (بل) هنا انتقالا من معلومة إلى أخرى، إذ بدأ بمعرفة "سعيد" انه كذب و أن "خالد" لم يلتحق بالفدائيين و انه هو الذي منعه، و ينتقل باستعمال (بل) إلى أنه ذات يوم هدده بالتبرؤ منه إن هو عصاه في ذلك. و جاء استعمال (بل) لتبيين التدرج في الحجاج من القوي إلى الأقوى.

النموذج الثالث:

[1] النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة، عباس حسن، دار المعارف، مصر، ط3، 1968م، ج3، ص623.
[2] عائد إلى حيفا، غسان كنفاني، ص69.

«...و عاد فنظر إلى "دوف" و بدا له مستحيلا تماما أن يكون هذا الشاب من صلب تلك المرأة، و حاول أن يستشف شبها ما بينه و بين خالد، إلا انه لم يعثر على أيما شبه بين الرجلين، بل رأى بصورة ما تضادا بينهما يكاد يكون متعاكسا تماما، و استغرب أن يكون قد فقد أيما عاطفة إزاءه، و تصور أن مجموع ذاكرته عن "خلدون" كانت قبضة من الثلج أشرقت عليها فجأة شمس ملتهبة فذوبتها...»[1].

ن = الاختلاف كبير بين "خالد" و "خلدون"

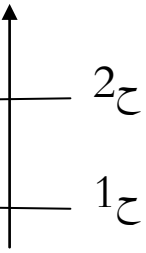

ح2 رأى "سعيد" تضادا بين "خالد" و "خلدون"

ح1 لا يوجد شبه بين "خالد" و "خلدون"

- ينفي "سعيد" في هذا النموذج العثور على شبه بين "خالد" و "خلدون"، و يأتي بحجة أخرى مفادها أن إبنيه متضادان تماما، و من هنا أبطل الشبه بينهما، و بالتالي يكون وضعها في درجة أدنى من السلم؛ و من ثم أثبت أنهما متضادان، فكانت أقوى حجة من الأولى، و كان ترتيبها حجاجيا بفضل الأداة (بل).

حتّى : من أدوات السلّم الحجاجي، لدورها في ترتيب منزلة العناصر، و لما لمعانيها و استعمالاتها من سلميّة، فأولها "حتّى الجارة" و التي تعني انتهاء الغاية، على أن يراعي المرسل تحقيق شروط مجرورها في التركيب، و هي : «الأول : أن يكون ظاهرا في الغالب، و الثاني: أن يكون آخر جزء، أو ملاق لآخر جزء، و أن يكون المجرور بها داخلا فيما قبلها على الغالب، و أنس يكون الانتهاء به أو عنده»[2].

[1] نفسه، ص73.

[2] استراتيجيات الخطاب-مقاربة تداولية-، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص517.

نموذج من الرواية:

«...فحين خرجوا من يافا حملتهم الزوارق من منطقة تقع إلى الشمال من شط الشباب، و اتجهت نحو غزة، إلا أن أباه عاد فهاجر إلى الأردن، لم يحملوا شيئا معهم، و لا حتى صورة صغيرة لبدر الذي ظل هناك...»[1].

ن = الهجرة و ترك كل شيء وراءهم

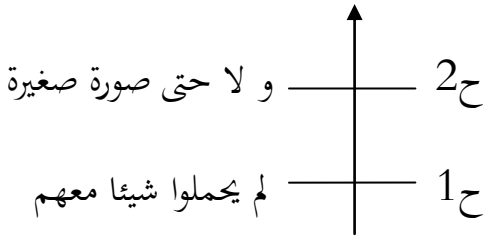

- يقصد الكاتب في هذا النموذج أنهم عند هجرتهم لم يأخذ شيئا معهم، و الرابط الحجاجي (حتى) يربط بين حجتين، لتكون الحجة التي بعدها هي الأقوى (و لا حتى صورة...)، و تخدمان نتيجة ضمنية واحدة و هي الهجرة و ترك كل شيء وراءهم.

***درجات التوكيد** : يقول السيوطي في هذا السياق، من باب الإسناد الخبري :

-الخبر الإبتدائي: ينبغي للمتكلم أن يقتصر من التركيب على قدر الحاجة، فان ألقى الخطاب إلى خالي الذهن من الحكم و من التردد فيه استغنى عن مؤكدات الحكم، لمن هو خالي الذهن[2].

[1] عائد إلى حيفا، غسان كنفاني، ص56.

[2] ينظر: شرح عقود الجمان في علم المعاني و البيان، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار الفكر، القاهرة، 1939م، ص10-11.

نماذج من الرواية:

«...ظهر يوم الثلاثين من حزيران، 1967، كانت سيارة "الفيات" الرمادية التي تحمل رقما أردنيا ابيض تشق طريقها نحو الشمال، عبر المرج الذي كان اسمه مرج بن عامر قبل عشرين سنة، و تتسلق الطريق الساحلي نحو مدخل حيفا الجنوبي...»[1].

«...و حين كان يقود سيارته وسط شوارع حيفا كانت رائحة الحرب ما تزال هناك، بصورة ما، غامضة و مثيرة و مستفزة، و بدت له الوجوه قاسية و وحشية...»[2].

«...كان "سعيد.س" في قلب المدينة، حين بدأت أصوات الرصاص و المتفجرات تملأ سماء حيفا...»[3].

«...و فجأة أطل المنزل، المنزل ذاته، ذلك الذي عاش فيه، ثم عيشه في ذاكرته طويلا، و ها هو الآن يطل بمقدمة شرفاته المطلية باللون الأصفر...»[4]

«...لقد وصل "افرات كوشن" إلى حيفا، برعاية الوكالة اليهودية، قادما إليها مع زوجته من ميناء (ميلانو) الإيطالي في وقت مبكر من شهر آذار...»[5].

«...و كان ذلك اليوم يوم الخميس، الثلاثين من نيسان 1948، عندما دخل "افرات كوشين" و زوجته "ميريام" برفقة موظف من الوكالة اليهودية له وجه يشبه الدجاجة، و يحمل طفلا خمسة شهور، إلى بيت "سعيد.س" في الحليصة...»[6]

[1] عائد إلى حيفا، غسان كنفاني، ص06.
[2] نفسه، ص09.
[3] نفسه، ص11.
[4] نفسه، ص26.
[5] نفسه، ص37.
[6] نفسه، ص46.

«...و حين شهدت الصورة وجدت فيها سلوى، وجدت فيها رفيقا يخاطبني و يتحادث إليّ، و يذكرني بأمور اعتز بها و اعتبرها أروع ما في حياتنا...»[1]

«...و على الطريق هدر صوت محرك، و دخلت "ميريام" إلى الغرفة و وجهها يعلوه اصفرار مفاجئ. لقد كانت الساعة قد قاربت منتصف الليل و تقدمت العجوز القصيرة بخطى بطيئة نحو النافذة، فأزاحت الستائر برفق، ثم أعلنت بصوت مرتجف:

ها هو "دوف" لقد جاء...»[2].

- فالكاتب هنا وظف الخبر الابتدائي، لأن المتلقي خالي الذهن، فاكتفى في سرد حججه بأولى درجات سوق الخبر دون تأكيد، إذ يكفي لذلك ما يعلمه من أنّ المرسل واثق من صدق خطابه، و هذا ما جعله مستغنيا عن مؤكدات الخبر[3]، و عليه فالخبر الابتدائي في مواضعها في الرواية تمثل قمة السلم الحجاجي بالنسبة لنوعين الآخرين.

-الخبر الطلبي: إن كان مترددا في الخبر، وجب عليه أن يقوي بمؤكد واحد[4].

نماذج من الرواية:

«...لطالما شق تلك الطرق بسيارته الفورد الخضراء موديل 1946، إنّه يعرفها جيدا، و الآن يشعر بأنّه لم يتغيب عنها عشرين سنة، و هو يقود سيارته كما كان يفعل، كما لو أنّه لم يكن غائبا طوال تلك السنوات المريرة...»[5].

[1] نفسه، ص58.

[2] نفسه، ص61.

[3] استراتيجيات الخطاب –مقاربة تداولية–، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص524.

[4] ينظر: شرح عقود الجمان في علم المعاني و البيان، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، ص11.

[5] عائد إلى حيفا، غسان كنفاني، ص09.

«...كان يعرف أنّ زوجته الصغيرة لا تستطيع أن تتدبر أمرها، فمنذ أن جاء بها من الريف لم تعتد أن تقبل العيش في المدينة الكبيرة، أو أن تكيف نفسها مع ذلك التعقيد الذي يبدو راعبا لها...».

«...و لكنه فيما كان يسارع الخطو كان يعرف تماما أنّ عليه أن يتجنب المناطق المرتفعة المتصلة بشارع هرتزل...»[1].

«...كم مضى من الوقت قبل أن تتذكر أنّ "خلدون" الطفل ما زال في سريره في الحليصة ؟ ليست تتذكر تماما، و لكنها تعرف أنّ قوة لا تصدق سمرتها في الأرض...»[2].

«...إنّه يعرف "صفية" جيدا، و يعرف أنّها تدرك تماما كل فكرة تعبر رأسه...»[3]

«...و هكذا جعل الأمر، لنفسه و لزوجته، يبدو طبيعيا للغاية، كما لو أنّ العشرين سنة الماضية وضعت بين مكبسين جبارين و سحقت حتى صارت ورقة شفافة لا تكاد ترى..»[4]

«...تأكد تماما أنّ الأمر في حيفا قد انتهى...»[5]

«...إنّني في قوات الاحتياط الآن، لم يقدر لي خوض معركة مباشرة إلى الآن لأصف لك شعوري...»[6].

«...و شعر ثمة، أنّ عليهما أن ينهضا و ينصرفا، فقد انتهى الأمر كله و لم يعد هناك ما يقال بعد...»[7].

[1] نفسه، ص12.
[2] نفسه، ص17.
[3] نفسه، ص24.
[4] نفسه، ص27.
[5] نفسه، ص40.
[6] نفسه، ص68.
[7] نفسه، ص76.

- و قد كان استعمال الراوي للأخبار الطلبية في مواضعها؛ هي تصنيف حجاجي في أعلى السلم الحجاجي بالنسبة لنوعين الآخرين.

-الخبر الإنكاري: إن كان منكرا، وجب تأكيده بحسب الإنكار، أي بقدره قوة و ضعفا حتى يزيد في التأكيد[1].

نماذج من الرواية:

«...كان يعرف أنّها سبعة أعواد. و حاول أن يعدها و هو جالس في مكانه إلا أنّه لم يستطع، فقام و اقترب من المزهرية و أخذ يعدها واحدة واحدة، كانت خمسة فقط...»[2].

«...و ابتسم "سعيد" بمرارة، و لم يعرف كيف يقول لها أنّه لم يأت من أجل هذا، و أنّه لن يشرع في نقاش سياسي، و أنّه يعرف أنّ لا ذنب لها...»[3].

«...و في الحقيقة فإنّه لم يكن ليعرف الكثير آنذاك عن فلسطين...»[4].

«...و رغم أنّها لم تصدق في بادئ الأمر ما ذهبت إليه أفكارها، إلا أنّها تحركت من مكانها بعد أن استطال البكاء الواهن...»[5].

- إن أداة التوكيد سواء أكانت واحدة (الخبر الطلبي) أم أكثر (الخبر الإنكاري) فإنها تفيد توثيق الخبر و ضمان حسن تلقيه و أثره في نفس المتلقي و اتخاذ موقف معين منه، سواء أكان في الأمر شك أم لم يكن.

[1] ينظر: شرح عقود الجمان في علم المعاني و البيان، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، ص11 .
[2] عائد إلى حيفا، غسان كنفاني، ص30.
[3] نفسه، ص32.
[4] نفسه، ص39.
[5] نفسه، ص44-45.

2-آليات السلم الحجاجي :

***التعدية:** أساس هذه الحجة و جوهرها المعادلة الرياضية التالية:

أ x ب

⟸ أ x ج

ب x ج [1]

نماذج من الرواية:

النموذج الأول:

«...لا، لا أريد الذهاب إلى حيفا، وان ذلك ذل، و هو إن كان ذلا واحدا لأهل حيفا فبالنسبة لي و لك هو ذلان، لماذا نذهب و نعذب أنفسنا ؟...»[2].

الذهــاب إلى حيـفا ذل واحد لأهلــها

⟸ الذهاب إلى حيفا ذل للجميع

الذهاب إلى حيفا بالنسبة لي و لك ذلان

النموذج الثاني:

[1] الحجاج في الشعر العربي بنيته و أساليبه، سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث، أربد-الأردن، ط2، 2011، ص203.

[2] عائد إلى حيفا، غسان كنفاني، ص23.

«...و أخذ الرجل الواقف على عتبة الباب، و الذي كان ما يزال يمد راحته، يضحك بقوة مقتربا من "فارس اللبدة" حتى صار أمامه مباشرة، و عندها تقدم بذراعين مفتوحتين نحوه و احتضنه..لا حاجة لتصب غضبك عليّ، فانا عربي أيضا و يافاوي مثلك، و أعرفك؛ فأنت ابن اللبدة...»[1].

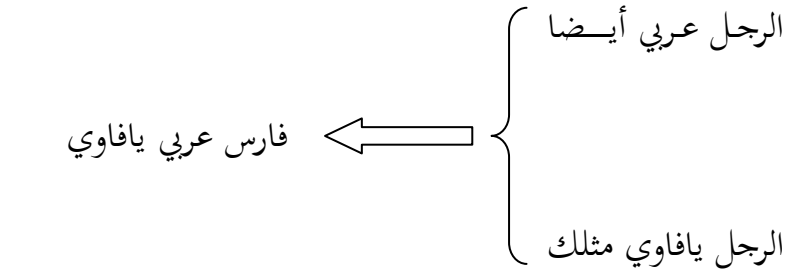

- « فحجج التعدية تقوم على استنتاج علاقات انطلاقا من توظيف قيمة عنصر ثالث يتم المرور عبرها لتأكيد صدق العلاقة بين العنصرين الأول و الثاني.»[2].

***صيغ المبالغة:**

نماذج من الرواية:

«...كانت السماء نارا تتدفق بأصوات رصاص و قنابل و قصف بعيد و قريب...»[3].

«...يبكون أو يسبحون داخل ذلك الذهول الصارخ بصمت كسيح...»[4].

«...و حين رأت وجهه وراءها يتصفد بالعرق و الغضب و الإرهاق أحست ذهول الفاجعة أكثر من أي وقت مضى...»[5].

[1] نفسه، ص54.
[2] الحجاج في البلاغة المعاصرة –بحث في بلاغة النقد المعاصر–، محمد سالم محمد الأمين طلبة، ص129.
[3] عائد إلى حيفا، غسان كنفاني، ص14.
[4] نفسه، ص15.
[5] نفسه، ص18.

- جاءت صيغ المبالغة في هذه النماذج على وزن (فعيل) و ذلك في (كسيح، بعيد، قريب)، و على وزن (فعول) و ذلك في (ذهول)، و هي كلها من الأوصاف الحجاجية للفجائع و الانكسارات و الهزائم التي عاشها الشعب الفلسطيني.

***حجة الدليل :**

النموذج من الرواية :

«...و الآن، بعد لماذا ؟ لسواد عينيك و عيني* ؟. لا. ذلك جزء من الحرب. إنهم يقولون لنا: تفضلوا انظروا كيف أننا أحسن منكم و أكثر رقيا...»[1].

- أي أن كل ما فعلوه ليس من أجلي و أجلك، بل من أجل أن يبيّنوا لنا و يقنعونا بأنها أصبحت محتلة، وأصبحت كما يريدها الإحتلال، وليس كما يجب أن تكون. فالكاتب بتوظيفه لهذا المثل (لسواد عينيك و عيني) زاد من قوة حجته و مصداقيتها، و بالتالي الزيادة في درجة الإقناع.

*مثل فلسطيني ، و المقصود به ليس من أجل خاطرنا.

[1] عائد إلى حيفا، غسان كنفاني، ص08.

الخاتمة

الخاتمـــــــــــــــة:

إلى هنا، و بعد هذه الدراسة للحجاج تجلت مجموعة من النتائج توصلنا إليها من خلال الفصلين النظري و التطبيقي أهمها:

- الحجاج مفهوم متشعب و يصعب تحديده بدقة، بسبب كثرة الدراسات التي تطرقت إليه تعريفا و تحليلا، و لم يُحصر مفهومه في إطار معين.
- الحجاج موضوع قديم قدم الدراسات اليونانية، فقد كان معروفا عند أرسطو باسم الخطابة لكنه حُدِّث من طرف برلمان و أصبح يُعرف بالبلاغة الجديدة، حيث أخرج مفهوم التداولية من صلب البلاغة التقليدية.
- وجوب حضور الحجاج و آلياته في جميع المجالات، إذ لابد من سعي المتكلم لإقناع المخاطب بوجهة نظره من خلال الإتيان بالدليل و إثبات الحجة بالبرهان المنطقي الموضوعي.
- اقتصار أنماط الحجاج من قبل عبد الهادي بن ظافر الشهري على صنفين (توجيهي-تقويمي)، في حين صنفها طه عبد الرحمن إلى ثلاثة أنماط (تجريدي-توجيهي-تقويمي).
- مرونة الآليات الحجاجية تسمح للمخاطِب بأن يستعملها وفق ما يقتضيه سياق الخطاب.
- قدرة غسان كنفاني على الاخراج الفني لصورة الشعب الفلسطيني المتعطش للعودة ببراعة كبيرة و حرفية اكبر، مع إبرازٍ ملامحه الثقافية و الدينية، فهذه الرواية من عنوانها حتى نهايتها كانت روحا و مضمونا واحدا غير متجزئ مع تناغم في تقديم تفاصيلها للمتلقي.
- تنوّع الآليات الحجاجية في الرواية بين ما هو بلاغي (استعارة، تمثيل، تشبيه...)، و بين ما هو لغوي منطقي (روابط حجاجية، سلالم حجاجية...)، لكن لاحظنا طغيان أسلوب الاستفهام عليهما و الذي كان حجاجيا بالدرجة الأولى هادفا إلى الإقناع.

- القارئ لرواية (عائد إلى حيفا) يلحظ ترتيب الحجج بطريقة السلالم الحجاجية، فالحجج مرتبة بشكل متدرج ترتيبا سلّميا، من الحجة الضعيفة إلى الحجة القوية حتى تصل إلى أقوى الحجج لتحقيق هدفها الحجاجي.

ومجمل القول في ختام هذه الدراسة، إنَّ للحجاج قدرة على إيصال رسالته وإقناع المتلقي متى قام على عناصره الصحيحة،وفي المقابل متى تجرَّد منها فلن يفيد في ذلك بشيء، والحجاج الصحيح يعبّر عن قدرة صاحبه في الإقناع وعن سلامة الفكرة الّتي يحاجج بها.

قائمة المصادر والمراجع

أ- قائمة المصادر والمراجع:

1. أرسطو طاليس، الخطابة، الترجمة العربية القديمة، تح:عبد الرحمن بدوي ،وكالة المطبوعات الكويت دار القلم بيروت، 1979م.
2. أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، منشورات عويدات، بيروت، ط2، 2001م. مج1.
3. أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت-لبنان، ط1، 2010م.
4. أبو بكر العزاوي، اللغة و الحجاج، العمدة في الطبع، ط1، 2006م، ص16.
5. الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ط7، 1998.
6. جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، شرح عقود الجمان في علم المعاني و البيان، دار الفكر، القاهرة، 1939م.
7. جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، دط، 1994م، ج1.
8. جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م.
9. جميل عبد المجيد، البلاغة و الاتصال، دار غريب، مصر، دط، 2000م.
10. جورج لايكوف و مارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، تر:عبد المجيد جحفة، ط2.
11. أبو حسن إسحاق بن وهب، البرهان في وجوه البيان، تح: حفني محمد شرف، مطبعة الرسالة، مصر دط ، 1969م.
12. أبو حسن بن عيسى الرّماني النحوي، معاني الحروف، تح: عرفان بن سليم، المكتبة العصرية صيدا- بيروت، ط1، 2005م.
13. حيدر توفيق بيضون، غسان كنفاني (الكلمة و الجرح)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط1 1995م.

14. سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته و أساليبه، عالم الكتب الحديث، أربد- الأردن، ط2 2011م.

15. صابر الحباشة، التداولية و الحجاج -مداخل و نصوص-، دار صفحات للدراسات و النشر ط1 2008م.

16. صبحية عودة زعرب، غسان كنفاني (جماليات السرد في الخطاب الروائي)، دار مجدلاوي الأردن، ط1، 1996.

17. طه السبعاوي، أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 2001م.

18. طه عبد الرحمن ، تحديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2.

19. طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المملكة المغربية، ط1، 1998م.

20. عباس حسن، النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة، دار المعارف مصر، ط3، 1968م، ج3.

21. عبد الرحمن بن خلدون، تاريخ ابن خلدون (كتاب العبر ...)، ضبط: خليل شحاذة ومراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت- لبنان، د.ط، 2000م.

22. عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة مقاربات فكرية، منشورات ضفاف،بيروت ،لبنان ومشورات الاختلاف ،الجزائر، دار الأمان، الرباط، ط1، 2013م.

23. عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي بيروت، ط2، 2007م.

24. عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، ط1، بيروت-لبنان.

25. عبدالله صولة، الحجاج أطره و منطلقاته و تقنياته من خلال "مصنف في الحجاج-الخطابة الجديدة" لبرلمان و تيتكاه، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، تنسيق: حمادي صمود.

26. علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تح:محمد الصديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، دط، دت.

27. غسان كنفاني، عائد إلى حيفا، منشورات الرمال، قبرص، ط2، 2015م.

28. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادي، القاموس المحيط، تح:محمد نعيم العرقسوسي مؤسسة الرسالة، ط8، 1426ه/2005م.

29. محمد العبد، النص الحجاجي العربي (دراسة في وسائل الإقناع)، دت، دط.

30. محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، بيروت-لبنان، دط،1999م.

31. محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، الخطابة في القرن الأول أنموذجا، أفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، ط2، 2002م.

32. محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة العربية المعاصرة "بحث في بلاغة النقد المعاصر" دار الكتاب الجديد، بيروت_لبنان، ط1، 2008م.

33. محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية و المنطقية و اللسانية، دار الثقافة، المغرب، ط1، 2005.

34. ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، ج2، مادة(حجج).

35. مهدي المخزومي، في النحو العربي-نقد و توجيه-، دار الرائد العربي، بيروت-لبنان، ط2، 1406ه/1986م.

36. أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ط1، 1952م.

37. أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.

ب- المجلات و الدوريات:

1. الآليات الحجاجية للتواصل،تر:عبد الرفيق بوركي، مجلة علامات، ع21.

2. آليات تشكل الخطاب الحجاجي "بين نظرية البيان و نظرية البرهان"، مجلة الآداب واللغات 5.مارس.2006 م.

3. نحو مقاربة حجاجية للاستعارة ، مجلة المناظرة، المغرب، ع4، 1-مايو-1991م.
4. وسائل الحجاج في خطب الإمام علي بن الحسين، مجلة مركز دراسات الكوفة، جامعة الكوفة.

ج- الرسائل الجامعية:

1. أمينة رقيق، بلاغة الخطاب المكتوب "دراسة لتقنيات الحرف و اللون و الصورة في خطاب الدعاية التجارية،رسالة دكتوراه، محمد خان، قسم الآداب و اللغة العربية،جامعة محمد خيضر بسكرة 2014/2013م.
2. إيمان درنوني، الحجاج في النص القرآني، رسالة ماجستير، د:الجودي مرداسي، قسم اللغة العربية وآدابها جامعة الحاج لخضر باتنة، 2013، ص81،(187).
3. حسين بولوطة، الحجاج في الإمتاع و المؤانسة لأبي حيان التوحيدي، رسالة ماجستير، إسماعيل زردومي،قسم اللغة العربية و آدابها، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2010/2009م.
4. هشام بلخير آليات الإقناع في الخطاب القرآني، ، رسالة ماجستير، محمد بوعمامة، قسم اللغة العربية و آدابها، جامعة الحاج لخضر باتنة،2012، ص132 (182) .

د- الموقع الالكتروني:

مرتكزات الحجاج، سليمة محفوظي، السبت: 29/أكتوبر/2011، anfasse.org.

الفهرس

الفهـــــــرس

الموضوع	الصفحة
شكر وعرفان	
المقدمة	أ-ب
تمهيد	7
مفهوم الحجاج	8
الدلالة اللغوية للحجاج	8
الدلالة الاصطلاحية	9
نشأة الحجاج قديما	10
الحجاج عند الغرب	10
الحجاج عند السفسطائيين	10
عند افلاطون	11
عند أرسطو	11
الحجاج عند العرب	13
الحجاج ما قبل التنظير(الممارسة)	13
مرحلة التنظير (مرحلة الجاحظ)	14
ما بعد التنظير	15
أبو إسحاق بن وهب	15
أبو هلال العسكري	16
عبد الرحمن بن خلدون	17
نشأة الحجاج حديثا	17
عند الغرب	17
الحجاج عند برلمان وتيتكا	17
الحجاج ديكرو و أنسكومبر	19

الحجاج عند العرب	21
طه عبد الرحمن(الحجاج فلسفيا)	21
محمد العمري(الحجاج بلاغيا)	22
أبو بكر العزاوي(الحجاج لسانيا)	24
عبد الله صوله	25
أنماط الحجاج (مقاربة الحجاج بالتواصل)	26
الحجاج التجريدي	26
الحجاج التوجيهي	27
الحجاج التقويمي	27
الآليات الحجاجية	29
الآليات اللغوية	29
ألفاظ التعليل	29
الأفعال الكلامية	30
الحجاج بالتبادل	30
الوصف	30
تحصيل الحاصل	30
الآليات البلاغية	31
تقسيم الكل إلى أجزائه	31
الاستعارة	31
التمثيل	33
الكناية	33
البديع	34
الآليات الشبه منطقية	34
السلم الحجاجي	34
قوانين السلم الحجاجي	36

الأدوات اللغوية	36
الروابط الحجاجية	37
درجات التوكيد	37
آليات السلم الحجاجي	37
التعدية	37
القياس المضمر	38
صيغ المبالغة	38
حجة الدليل	39
التعريف بالراوي والرواية	42
غسان كنفاني	42
حياته	42
ثقافته	42
مؤلفاته	43
ملخص رواية عائد إلى حيفا	45
تحليل الآليات الحجاجية في رواية عائد إلى حيفا	47
الآليات اللغوية	47
ألفاظ التعليل	47
لام التعليل	47
لأن	48
كي الناصبة	49
الأفعال اللغوية	50
الاستفهام	50
النفي	55
الأمر	56
الوصل السببي	57

الصفة	58
اسم الفاعل	59
اسم المفعول	60
تحصيل الحاصل	60
الآليات البلاغية	62
تقسيم الكل إلى أجزائه	62
الاستعارة	63
التمثيل	64
التشبيه	66
الكناية	68
الآليات الشبه منطقية	69
السلم الحجاجي ووسائله	69
السلم الحجاجي	69
الأدوات اللغوية	72
الروابط الحجاجية	72
لكن	72
بل	75
حتى	78
درجات التوكيد	79
الخبر الإيتدائي	79
الخبر الطلبي	81
الخبر الإنكاري	83
آليات السلم الحجاجي	84
التعدية	84
صيغ المبالغة	85

حجة الدليل	86
الخاتمة	88
المصادر والمراجع	91
الفهرس	96